

رواية

# مَنكَ سِرٌّ تَشْ!

أَسْمَاءُ كَمَال



ماستر

# متكسر تش

رواية..

أسماء كمال

الجمع والإخراج  
التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع / ٢٠٨٧٠ / ٢٠١٩ م

ISBN: 978-977-85571-5-2

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر



© ماستر

٢٠٢٠ م

Email: [master.publisher@hotmail.com](mailto:master.publisher@hotmail.com)  
Facebook: [facebook.com/Master.PH](https://www.facebook.com/Master.PH)  
Smashwords: [smashwords.com/master.ph](https://www.smashwords.com/master.ph)  
Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

إهداء

إلي كل من يظنّ نفسه أنه كسرّها ...  
متكسّرتش



## مقدمة.. لمشوار طويل..!

تسير في طريق مُظلم.. تسمع صدى صوت نفسها لدليل واضح علي وحدتها في مكان واسع.. ترتدي سُترة ليليّة خفيفة قصيرة في برد قارس.. ينسدل شعرها الطويل بطول ظهرها.. لا ترى سما من أرض.. لا ترى شيء.. قدمها تسير ببطء للأمام.. لكنها لا تدري من أين اتجاه تسير.. لذا فكل الطرق المُفترض للأمام.. تسير بحذر تخاف التّعثر بأي شيء مفاجئ..!

بعد فترة من السير شعرت أن هنالك ما يدفعها ببطء من ورائها.. خلفها من يُحركها.. هي صورة فقط تتشكّل حسب من يدفعها.. استمر إحساسها بهذا الشعور فترة طويلة.. حتي فقدت القدرة علي الحركة وحدها.. نظرت لرجليها ويديها.. صُدمت.. شعرت أنها تسبح في فضاء وأنها فقدت قُدرتها الحركية.. تتحرك فقط لرد فعل ما.. انقبض قلبها.. سمعت صوت نَفْسها يعلو.. دارت بعينها في الظلام الحالك محاولة أن ترى أي شيء.. لتشعر فجأة بيد تمسك يدها وصوت يقول (أنا جنبك متخفيش).. شهقت واتّسعت عيناها.. رأت صدرها يعلو ويهبط بسرعة شديدة.. ولا تستطيع التنفس من الصدمة.. من هذا؟.. أنا لم أختارك..!

وما زال الدَّفْع من الخلف مستمر تسير في طريق مظلم ترتجف من الخوف ولا أحد يُبالي بشعورها.. فقط يدفعونها.. بل يزيدونها دفعا!

تعبت من محاولاتها للهرب منه.. فصرخت.. لم يجب أحد عليها.. فصرخت ثانية بأعلي صوتها لتسمع صدي الصراخ يرنّ في

الفضاء ويرجع لها في دوائر يلکمها بقوة في روحها.. فتشهق وتبكي.. لاحظت على جانبها الأيمن من بعيد نورا لشيئ ما! وعلى الجانب الأيسر نورا آخر!.. شعرت بأمل بسيط يدخل قلبها.. وسارت مع الدفع بحماس لتراه ما هذه الأنوار.. لعلها نجدة! حتي اقتربت منهم ونظرت بتشوش من الظلمة للنور المفاجئ علي الجانب الأيمن.. رأيت باب مكتوب عليه التعود والاستسلام!

لم تفهم.. التفتت للشمال لتقرأ «الخيانة»!!.. عقدت حاجبها ثم نظرت جانبها إلى الشخص المسك بها الذي لا تراه حتي الآن من ظلمة الكون حولهما..

فهمت أن عليها اختيار باب من الأبواب لتدخله.. وقفت لحظة للاستيعاب..!  
لماذا يُخَيِّرُونها الآن..!

لم تلبث أن وقفت للتفكير لتشعربأن روحها ستقلع منها.. جميع الأبواب تشدّها نحو اتجاهها.. لتتلقّت رأسها نحو الاتجاهين في سرعة لترى خيالات جموع من الناس تدخل من كل الأبواب.. روحها تتمزق من الجذب من كل ناحية.. حاولت جمع قواها بكل الطرق وهي تنفس بسرعة وعمق شديد لتجدد طاقتها حتي نجحت بالفعل.. ملأت روحها بطاقة تفوق كل ما حولها..!

بدأت تتحرك هي برجليها.. غمضت عينيها.. أخذت نفساً طويلاً ملاً جسدها.. وأسرعت في مشيها حتي الرّكض.. وركضت في طريق لا تعرفه.. فقط تهرب منهم! لا تسمع أي صوت غير صوت الهواء الجاري من ركضها يصمّ أذنيها....

ثم وقفت تلتقط أنفاسها لترى الظلام مجدداً من حولها..  
ولكنها تشعر الآن براحة لا تعرف مصدرها.. فقط شيء يقول لها أنتِ في  
الطريق الصحيح.. أكملِي!

دمعت عيناها الواسعة من أثر ضغط الهواء علي وجهها وهي  
تركض.. سمعت فجأة ضوضاء من أقوال كثيرة تأتي عليها من كل جهه  
تكاد تخنقها.. فركضت مرة ثانية بقوة رهيبه وهي تغمض عينيها.. لا  
تلقت لأي شيء..

حتي استشعرت بضوء أزرق فاتح يخترق جفونها وهي مغمضة..  
فتحت عينيها فرأت فاصل زمني.. إنه الوقت.. يفصل بين جانب مظلم  
وجانب يملؤه اللون الأزرق..!!.. أخيراً ابتسمت..

قررت.. قررت.. قررت الدخول لهذا العالم وهي تضحك..  
رفعت قدمها لتتخطي الفاصل بخفة لا تدل أبداً علي كمية الركض  
الذي ركضته! وعيناها تلمعان من فرحة روحها للنور بتمازج بين لون  
عيناها البني والأزرق ليخلق بعينها عالم آخر!

لترى نفسها وهي تتخطي الزمنين يتغير لباسها الذي تقطع من  
الركض والشد والأقوال! إلي لباس لا يرى أحد جماله من قبل..!  
الإرادة يا سادته تنير الطرق..

بعد تخطيها ظلمتها وقهرها إلى عالمها الخاص بها.. رأت هناك  
جسد مُنحني يعطي ظهره لها.. حاولت أن تعرف من هو.. لا تدري ولا  
تُبالي.. اكتفت فقط بالاحتفال بنصرها وهي تعلم علم اليقين أنه كان  
ورائها ثلاث أبواب وأناس كثيرين وأقوال أكثر ولكنها تجاهلتهم..

التفت حول نفسها ترقص فرحة ونسيت تماماً الوحدة والتعب  
من رحلتها.. تلك العنيدة!

ورقصت.. رقصت.. رقصت حتي الضحك.. إنه سحر!!  
معاناة تستحق الصمود أمامها....

إنها حياتك....!



- منذ ثلاث سنوات.... -

كانت (سما) متريعه علي الكنيه أمام التلفاز.. مترددة لما ستفعل.. أخذت هاتفها وضربت الرقم الذي ظلت تحفظه ست سنوات منذ أن عرفتته دون تسجيله ولو لمره واحده علي هاتفها وكأنّ ذاكرتها خلقت بتسجيل هذا الرقم دون إرادة منها..

وقليها يخفق في سرعه من توترها....

هل سيردّ عليها ويرحب بها بعد ما قطعت معه الاتصال؟

قاطع أفكارها صوته وهو يبدو أنه كان نائم :

- آلو..

ردّت:

- آلو..

قال متسائلاً:

- مين معايا..

أجابته بترقب :

- أنا سما...

علا صوته وكأنّه كان ينتظر هاتفها، يعلم أنها ستهاثفه في يوم ما

أوربما غدا :

- يا اه سما.. عامله أيه يا بنتي؟ عملي أيه مع جوزك رجعتي ولّا

لّا؟... لما كلمتيني آخر مره وقولتيلي إتجوزتي وانفصلتي بعد كده قطعتي

معايا.. فهمت إنك لسه في مشاكل مع جوزك....

ضحكت في راحة، لم يتغير كثيراً، يظل يتكلم دون فرصة للردّ

عليه....

ثم قالت في محاوله للتماسك :

- أنا أطلقت

واستطردت وقد بدت علي صوتها الحزن :  
- الحمد لله..

شعرت باعتداله من نومه، قال محاولاً من تخفيف الَامها :  
- أيه اللي حصل بس فهميني....  
شعرت بثقل....

ما هو الرد علي من يسأل مطلقة عن سبب طلاقها..  
ما أسخف السؤال؟!  
وما أسخف الذين يسألونه...

قال مغيراً دقة الحديث في سرعه وذكاء، عندما شعر بضيقها:  
- انتي يا بت مجنونة كده علي طول كل شويه تكلميني من رقم  
وتختفي بعدها..  
وأكمل ضاحكاً:  
- أنا شايفك وعارفك وهجيبك..

ضحكت رغماً عنها، دائماً هو الشخص الذي يهون عليها مصائب  
الدنيا.. لا يرهقها بأسئلة لماذا تبتعدي عني؟، لماذا لا تحادثيني؟، يتركها  
وراحتها، يقدر جيداً أننا في مجتمع شرقي لا يحق للفتاه أن تُصادق رجلاً  
لذلك كان يعلم سبب ابتعادها عنه في بعض الأوقات....

هو صديقها منذ ست سنوات، الصدفة جمعتهما علي موقع  
التواصل facebook، أو بالأحرى تفكير تلك المراهقة التي تبحث عن  
أي اسم، فظهر لها (ثائر مراد)..

أصبحت أصدقاء لثلاث سنوات حتي بلغت الثامنة عشر من  
عمرها، السن الاجتماعي للزواج.. وليس السن القانوني فقط..  
ثم قطعت معه الاتصال دام سنتين، عندما ارتبطت وتزوجت....

\* \* \*

- إحساس إن في يوم من الأيام هبقي أبوكي وأخوكي وسندك..  
وصمت لحظات، أخذ نفساً من سيجارته بوجه بائس، وأكمل  
حزيباً :

- وجه اليوم ده.. لما رجعتي وقولتي إنك إطلقتي....  
تسمع كلامه داخل عقلها في وسط ذكريات.. وتبكي في صمت....

\* \* \*

- يوم طلاقها.. -

الغرفة المظلمة....

نظرت (سما) لكل شئ حولها، رأت ظلام في ظلام، جلست علي  
سريرها أغمضت عينيها في آمال أن تهدأ ولو قليلاً....  
شعرت بالفقد، بالنقص، عقلها لم يتركها، عرض عليها مئات  
من الأحداث، والآلاف من الأسئلة، شعرت بالغرفة تدور بها، اعتصر  
قلبي لعدم وجود صبحه من الإجابات..  
ما الذي حدث؟!!

ما الذي عاد بي لتلك الغرفة التي ودعتها يوم زواجي؟!!  
كأدت أن تصرخ من الدوران التي تشعر به داخلها..  
أشخاص وأصوات يظهرون فجاءه ويختفون سريعاً، محادثات  
تتذكرها..

انسابت دموعها.. أخذت نفساً عميقاً كأنّها تحيا بعد موتها.. ثم  
هدأ كلّ شيء.. تاركه دموعها تسيل بلا مُقاومة..

شعرت فجاءه بسكون يعتري جسدها.. شعرت بفراغ بعد زحام  
من التساؤلات....

وفتحت عينها.. ملأت صدرها بالهواء ببطء وعمق  
شديد، وأفرغته في راحه مبالغ فيها....  
هذه هي الصدمات....

تأتيك بكل قوتها تصطدم بك.. تُوقفك في مكانك.. لا تدري من  
أين أتت.. ولا أين تذهب بك.. فقط تتسمّر مكانك.. تقول لك أنا أتيك  
كي تُغير مسارك.. لا أعرف إلي أين.. فقط غير....

وتتركنا كي تأتينا ثانية إذا ضلّينا الطريق مرة أُخري....

لا ندري أنحن من أغبياء حقاً؟؟؟

أم هي من تطلّب شيئاً لا تعرفه من الأساس!!!!

هبت واقفه.. قرّرت التخلص من أي شيء يخصّ الماضي،  
وقفت تائهة، تذكّرت أنه لم يهدا يهديه من قبل للتخلص منها،  
ابتسمت من غباؤه في سخرية ميره....

من لم يهد امراه يهديه، فقد عجل بنسيانه!!!

أمسكت هاتفها ومسحت كل ما كتبتة في المفكّرة، كل ما كان  
يضيق بصدرها ولا تبوح به لأحد....

وأخذت عهد علي نفسها أن تُحاول جاهدة أن لا تُفكر في الماضي

أبدأ....

هل لديكم الجراءة للتخلّص عن كل ما تنتمون إليه؟!  
من مبادئ، من أفكار، و من كل شيء تحفظون به داخل

قلوبكم!!!!



بها، يرسم علي وجهها علامات سن اليأس، وهي ما زالت في العشرين....

تتذكر جيداً عندما سألته ذات يوم :

- انت ليه شايف الدنيا سوده كده؟

ردّ عليها بكامل قناعته لما يقول دُون أن ينظر لها....

نادراً ما كان ينظر لعينها مباشرة....

- آخرنا يعني هنعيش كام سنه.. ٦٠ سنه..!!!

وأكمل ببروده التي تكرهه :

- يعني ناقصلي ٣٠ سنه.. وكده كده كلنا هنموت.. أدينا

عايشين وخلص....

لم تفهمه جيداً وقتها، لكن اندهشت، ما علاقة ما قاله

بسؤالها!...

هو دائماً لا يرد رد مباشر علي السؤال....

كان يُرهقها بكثرة التفكير وربط الأسباب، لما تسأل ولما يُجيب!...

لك أن تتخيل فتاه تعشق الحياه تتزوج من رجل يعيش بهذا

المنطق الغريب....

لذلك قرّرت التخلّص من شيء كان يُعيق تنفسها من أن يصل

الأكسجين لكل خلايا جسدها حتي أصبحت جُثّه متحركة...

لا تُزوجوا فتياتكم بعدم رغبتهنّ.. دعوهنّ وشأنهنّ.....

(٢)

- وجه اليوم ده.. لما رجعتي وقولتيلي إنك إطلقتي...  
لم تردّ عليه، شارده تماماً...  
تقف الآن علي مُفترق الطُّرق مرّه أُخري، تُفكر ماذا تفعل  
بعد....

اعتدل في جلسته موجهاً جسده ناحيتها يُرَبِّع رجلية، وهي ما  
زالت مُمدّده ساقها...  
نظر لعينها الواسعة، وقال متسائلاً بصوته الرجولي الذي  
تحبه :

- ممكن أعرف انتي خايفه من إيه دلوقتي ؟  
فزَعِهما صوت هاتفها الذي رنّ للتو....  
رمقت الهاتف وجدت اسم كإجابة علي سؤاله، تغيّرت ملامحها  
في لحظه...

ثم ضحكت ونظرت له، وقالت مازحه :  
- أهو خايفه أبقى زي (نورا)..  
فضحك لضحكها، ردّت كمن يترقب مصيبة :  
- أيوا يا (نورا) خيييير..  
سمعت صوتها مبتسم وهي تقول :  
- لأ متخافيش خلاص إحنا نحسنا.. وبعدين انتي عروسة..  
بلاش نعقدك أكثر ما انتي متنبيلة....  
ضحكت بصوت عال، وعُيونها دامعه..  
في تمازُج غريب....  
لاحظت شروده بها، رمقته بنظره جانبيه وجدت عينيه دامعتان  
وهو يشيح بنظره بعيداً..

شعرت بدفء يغمُر كيانها...  
قالت ساخرة وهي تلف رجلها لتربعها مثله وهي تعادل أمامه :  
- عروسه !!!  
وأكملت وهي ترسم علي الأرض بأصابعها بطريقة إعتيادية :  
- إدعيلي بس أبطل تفكير ووافق..  
\* \* \*

- بعد طلاقها.... -

قومي يلا يا (سما)....  
قالتها أمها لتوقظها....  
(نورا) بزه أدخلها لك ولا هتخرجيلها انتي...  
ردت وهي نائمته.. دخلها....

دخلت (نورا) بحذر، تتفحص المكان جيداً، في حين (سما)  
تعدّل من نومها.. صاحت (نورا) فيها :  
- ايه الضلمة دي يا حاجه..  
ردت بنصف نظره :  
- المفروض أعملك فرح وانتي داخله يعني..  
وأشارت لها في علامة أن تضيئ النور، وأكملت بابتسامة ساخرة :  
- واحدة نايمه.. عايزاها تعمل إيه تنور البيت كله..

لم تضحك، التفتت لها بعد ما أشعلت النور، ثم اقتربت منها  
بيطء، جلست جانبا، وقالت بتخاذل :  
- زهقانه أوي..  
ثم رمقتها رأت (سما) تنظر لها نظره فاهمه لما ستقوله بعد ذلك  
- زهقانه من البيت شوية، قولت آجي أعقد معاكي..

هبت (سما) واقفة، وقد فهمت ما تخفيه عنها، قالت بسخرتها  
المعتادة :

- زهقتي من ٥ شهور جوازيس..!
- ثم أشارت علي نفسها بجديّه مصطنعة :
- ده أنا ليا الجنّة بقي.... فضلت ٩ شهور....

أدركت (سما) أن هذه الفترة من الزواج تكشف الصراعات  
الزوجية . وليس الزهق فقط....  
أكملت (سما) وهي تفتح النافذة معطيه ظهرها لها :  
- مش هقدر أنصحك بحاجه....

والتفتت لها وملامحها غير واضحة من ضوء الشمس الذي  
يأتي من خلفها.. واقتربت منها حتي جلست أمامها رابته علي كتفها....  
واستطردت كلامها :  
- اللي اكتشفته في الفترة اللي فاتت إن الكلام في الموضوع ده  
بقي محفوظ لدرجه بايخة أووي....

وقامت لترتيب غرفتها، في حين أراحت (نورا) ظهرها علي السرير  
في فترة ليس بالقليل في صمت، لتقول فجاءه:  
- إحنا المفروض نختار علي أي أساس....  
يعني نختار اللي شيننا.. نفكر بنفس التفكير..  
نقول نفس الكلام.. نبقي نسخة واحدة في كل حاجة..  
ولّا نختار اللي مختلف عنّا.. عشان يبقي في بنا جديد..  
يبقي في بنا حوار مختلف عن اليوم اللي قبله....  
مش نبقي حافظين بعض.... طب هنتكلم ليه.. وف إيه..!!  
سكتت لحظه، ثم أكملت كمن تُحدّث نفسها :

- وبالرغم من اختلافهم يقدرّوا بعض.. ويحترموا بعض..  
محدّث يقلل من الثاني لمجرد إنه اختلف معاه في رأي.. بس علي الأقل  
ميكونش في ملل.....

واعتدلت جالساه في توتر وعصبية جاهدة لإخفائهما، وقالت  
عاقدة حاجبيها ناظره أمامها، لا على شي محدد بعينه :  
- مش كل يوم بنعمل نفس الحاجات.. بنفس الترتيب... ده  
إحنا بقينا نتكلم كلام محفوظ ولا فاكرين أسبابه إيه أصلاً....

وأكملت وصوتها يرتجف من التوتر:  
- روتين.. روتين.. روتين.... زهقت نفسي أهرب من الدايره اللي  
لقيت نفسي فيها مرّه واحده....

قابل فتاه بعد زواجها، ستصطدم بكلامها!...  
رفعت عينها ل(سما) رأتها واقفة تنظر لها نظرة ليس لها  
معني....

سألت نفسها (سما) كل تلك الأسئلة، سمعت بداخلها إجابات  
لكل تلك الأسئلة....

تجاهلت تماماً الأصوات التي توجد داخلها الآن.. وابتسمت  
ابتسامة بلا معني أيضاً وردّت وهي تهزّكتفها بلامبالاة:

- مفيش راجل يقبل يتجاوز واحده مش شيهه....

وأكملت بطريقة مؤكدة لكلامها :

- هو عايز واحده إسطنبا منه..

ردّت (نورا) ساخرة :

- عشان يربّح دماغه....

أومات (سما) رأسها إيجاباً، أن نعم...

ثم قالت متسائلة كأنّها تذكرت شيئاً فجاءة:

- هي (مريم) مختفية بقالها كثيرليه.. متعرفيش حاجة عنها!!  
صمتوا تماماً من حزنهم لما تذكروه، ثم قالت (نورا) بصوت  
شارد:

- (علا) اللي وحشتني أوي.. يا ريتنا مكبرنا.. مكناش شايين هم  
حاجة..

وأكملت ناظرة لها بحسرة:

- هي الدنيا عملت فينا كده ليه..

ثم ضحكت ضحكة قصيرة بقهر وقالت:

- فاكرة لما كنا بنحلم إن كلنا نتجوز ويبقي عندنا عيال وبيت

ونتجمع وإحنا مبسوطين..

وابتسمت بدموعها وقالت:

- إحنا فعلاً بنتجمع.. بس كل واحدة جواها أحلام وأفكار

إتحبست.. وجعتنا أوي فكرة الأحداث السريعة اللي جت ورا بعضها

من ساعة مخلصنا دراسة..

وأكملت بطريقة إستهزائية، في حين (سما) تجلس جوارها

بخيبة أمل لما تسمعه:

- من خطوبة بقي لجواز ليلي خلفت وإطلقت واللي طلقت بعدها

كمان ليلي اتجوزت وحامل وزهقت من أول ٥ شهور جواز....

وسكتت لحظة وقالت:

- ويلي بتخون جوزها..!!

أغمضت (سما) عينها تاركة دموعها للحقيقة المؤلمة، تحاول

السيطرة علي روحها من ظلمتها، و(نورا) ترفع رأسها للسقف تحاول

أيضا السيطرة علي أفكارها ولكنها لم تستطع..

فأكملت (نورا) بصوت مندبوح:

- إحنا إتوجعنا أووي وانداس علينا.. لأ وايه المفروض كمان

نضحك ونهزر عشان منبقاش نكدين..

ثم نظرت ل(سما) متسائلة، وقالت بعصبية ملوَّحة بيديها:  
- انتي ساكنة ليه.. كلامي صح ولا لا؟!

لتسحب (سما) نفسها من كل جرح في خلاياها منتفضة قائلة  
بصوت خفيض:

- صح.. صح جداً لدرجة إني مش عارفة أقولك أيه.. مين  
الصح ومين الغلط والمفروض نعمل أيه..! كلنا بندور ونلف حولين  
بعض.. تماااا... بنفضل نتكلم ونخطط ونحلل ونقول ايه الصح وايه  
الغلط.. وفي الآخر أول ما نقوم كل الكلام بيتبخر.. عشان خايفين..  
طب ولازمة الكلام ايه بقي....  
وأكملت بشيء من الصرامة:

- اللي عايز يعمل حاجة مش بيقعد يتكلم عليها كتير.. بيعمل  
علي طول..! دي الحاجة الوحيدة اللي متأكدة منها إنها صح..  
هزت رأسها نورا موافقة ومهمه أيضا وهي تقول:  
- يعن....

= قومي رُوحي بيت جوزك.. قولتلك الكلام ملهوش لازمة..  
قالتها (سما) مقاطعة كلامها وهي تضع يدها علي ظهرها  
باطمئنان، وأكملت بنبرة حنين:  
- وظبطي وقت كده علي حسب ظروف بيتك عشان نروح  
نُزور(مريم)..

فنظرت لها(نورا) منتظرة تكلمة كلامها بترقب، في حين(سما)  
سكنت لحظة ثم أكملت بنبرة غريبة عنها:  
- وكلمتي (علا) علي الأقل نطمئن عليها.. بغض النظر عن كل  
حاجة بقي! هي صاحبتنا برضه قبل ما تقلب عليها نفسها.

\* \* \*

(٣)

- إدعيلي بس أبطل تفكير ووافق..

قالتها (سما) ل(نورا)....

ثم قالت (نورا) متسائلة:

- قررتي إيه يعني....

لترد (سما) تُغَيِّر الحديث :

- أنا في مشوار كده.. هخلص وأكلمك..

انتفض (نائر) واقفأً، وهو يقول :

- هروح اعمل قهوة أعملك معايا..؟

أومات برأسها موافقة...

قامت هي أيضاً ببطاء، وقفت على سور الشرفة مستمتعة  
بالجو الهادئ، لا تسمع إلا صوت البحر، ترى السماء الصافية الممتدة  
أمامها تنحني لتُغَلِّف الكون بأكمله بلونها الساحر، تشم رائحة البحر  
المفضلة لديها.....

تقف سائدة راحتها علي السور، أغمضت عينها لأول مره منذ  
فترة تستمتع بهدوء داخلها، لا تفكر في أي شيء علي الإطلاق، تُغمض  
عينها فقط في حالة سكون تصل لأعماق روحها!!  
ذلك الشعور بالهواء البارد داخل جسدها، شعور بالفراغ  
داخلها يجعل الهواء يسير بين خلايا جسدها يُحِمْها بارتياحية شديدة....  
شعور بالبرودة يتخلل قلبها ليغمرها بالكامل جعلها تظن  
لحظه أنها ليست علي الأرض...!!  
إحساس بلا شيء....  
بعد كل شيء.....



أخذت نفساً عميقاً، وهي تُزيح المقعد قليلاً لتجعله بزاوية بين  
البحرو(ثائر)، وتقول بصوت هادئ:  
- شكراً علي المفاجأة دي....  
وأكملت وهي ترفع حاجبيها وتهزّ رأسها استمتاعاً ممسكة  
بقهوتها لتقول بكل تلقائيه:  
- ياااااااه..  
بحر.. قهوة.. ووحده...

قالتها وهي تغمض عينيها وتميل برأسها تشم رائحة القهوة...  
لا تحسبهُ فرداً أبداً....

أقسمت أن هذا اليوم ستقضيه وحدها، فسبقها هناك....  
جاءت هنا من الأساس كي تصمّت لتسمع أصوات قرارتها  
الداخلية....  
هذه الصداقة..  
يأتونك.. يفهمونك.... ويتقبلوك هكذا!!  
رفعت رأسها في حالة لم تمرّ بها منذ فتره طويله، كانت تحتاج  
إلى كل هذا السكون لتملأ طاقتها من جديد..  
كمن كان يركض ثلاث سنوات بلاراحة، وقرر فجاءه  
أن يقف ليرتاح قليلاً....  
ليُكمل ركض...

أخرج علبه سجائره وأشعل سيجاره، كمعظم الرجال يلزمون  
شرب القهوة بالسجائر..  
تذكرت مقولة قرأتها في كتاب ما، لا تعرف ما سبب تذكرها بها  
عندما أشعل سيجارته، ربما لأن معظم السيدات يقلن لأزواجهن لا

تُدخنوا بجانبنا.. ويُدخنون أيضاً..

فقالته له ساخره بابتسامه :

« فليخبرنا الرجال بأي طريقة تحبون أن نتعامل بها معكم..

لكي نفعل عكس ما تقولون.... هكذا نُعاملوننا..

«أرئيتم استفزازاً أكثر من ذلك..!»

فضحكا بصوت عال..

\* \* \*

وصلوا (سما) و(نورا) لبيت (مريم):

سلموا علي أمها، رأوا علي وجهها الحزن، تقول لهما :

- تعرفوا تخرجوها من البيت....

نظروا لبعضهما، فهما لماذا تختبئ في البيت، ثم ردوا عليها في

وقت واحد:

- من عينا يا طنط..

دخلوا غرفتها في لهفه أن يروها ، وجدوها تشاهد التلفاز،

جانبا بنتها، وقفت (نورا) أمامها ناظرة تقول لها في تعجل:

- يلاً قومي عايزينك في مشوار كده...

في حين (سما) تفتح خزانة ملابسها لتختار ملابس لها،

ردت (مريم) بصوتها المختنق من قلة الكلام:

- مش عايزه أنزل

لتصبح فيها (نورا):

- هو بمزاجك.. بقولك عايزينك في مشوار لينا مش ليكي..

وأكملت:

- وبعدين أنا حامل.. وعايزا كوتساعدوني في شرا هدموم البيبي..

تفاجأت (مريم) بخبر حملها ووقفت تحتضنها قائلة:

- ألف مبروك وربنا يقومك بالسلامة...

ثم قالت بعد لحظه تفكير:

- هدوم ايه.. ده انتي تلاقيني في الشهر الثاني أو الثالث هتجيبني  
هدوم من دلوقتي  
ليضحكوا (سما) و(نورا). وترد عليها (سما):  
- آه هي هتجيب من دلوقتي.... يلاً بقي متجنناش البسي  
وخلصي عشان متأخرش..

وأمسكت (نورا) هاتفها وهي تنظر ل(سما) جالسة، تعلم أن  
هذا لت يمر بالخير أبداً..  
لتطلب (علا)....  
سمعت صوتها ترد عليها بلهجة من غاب عن وطنه:  
- أهلاً أهلاً (نورا) وحشتيني أووي..  
قالت (نورا):  
- و انتي أووي.. بقولك أيه إحنا خارجين أنا ومريم وسما  
هتعرفي تنزلي دلوقتي؟  
سألته وهي تعلم أن بوسعها النزول في أي وقت، فابتسمت (سما)  
من سؤالها، و(علا) ترد:  
- آه قشطه أنا نازلة أصلاً..

دخلت (مريم) الغرفة يهدونها من غير كلام لتخبرهما بصمتها  
أنها جاهزة، ومقتها (نورا) فقالت ل(علا):  
- طيب بُصي إحنا نازلين دلوقتي في الكافيه اللي جنب بيت  
مريم.. هنستناكي هناك..  
جلسوا في الكافيه، منتظرين (علا)..  
ممکن بقي نعرف انتي حابسة نفسك ليه....  
قالتها (سما) ناظرة ل (مريم):

ردّت (مريم) بلامبالاة:

- المفروض أروح فين يعني....

اكتفت (نورا) بالنظر لهما، تعلم إلي أين سيدور الحديث الآن..

قالت (سما) متسائلة:

- قاعده مستنياه إيه.. كل يوم بيعدي عليكي مش هيرجع تاني..

وانتي زي ما انتي من ساعة مطلقتي..

وسكتت لحظة وعلّت صوتها تُشير لها :

- قعده مستخبيه من إيه...

رأوا (علا) تدخل من بعيد الكافية بأسلوبها الذي طالما حذروها

منه، فالتفتت (مريم) لترد علي (سما) بلهجة خبير، كأنها هي من

تنصحها:

- انتي بس عشان في الأول.. لسه مَحْتَكْتِيش بالناس كتير..

لسه مأخذتِيش كمية الكلام والنظرات الكافية اللي تخليكي تحبسي

نفسك..

استني شويه كده.. ولما تحبسي نفسك زي.. هتفهمني أنا أقصد

إيه...

ضيّقت (نورا) عيناها من ذهول الموقف، تحاول استيعاب

ما يحدث! ... كيف يتحدثون الآن مُتجاهلين مجيء صديقهم التي لم

يرونها منذ عدّة شهور!!

التقت (علا) بهم تسلم عليهم بحرارة اشتياق، ثم تجلس

باستراحة من مشوارها مقابلة في جلستها ل(نورا) ونظرت لهم وقالت :

- وحشّي جداً.. يا ااه يا بنات فين أيام زمان..

رَحَبُوا بها بابتسامات مزيفة، شعرت (سما) بضيق لما قالته

(مريم) قبل قدوم (علا)، لا تحب أن تقول كلاماً معاد، ولكن الحديث

يدور في هذا الفلك، و(نورا) ظلّت صامتة لأنها تعلم كل الردود والأفكار التي ستقال، فما الجديد التي ستضيفه....  
- لذلك فضّلت الصمت !!

بلعت (سما) ريقها وسألتها وهي تضع يدها علي خدها في طريقة بأئسة منها:

- مستنيه تتجوزي تاني..؟

وقالت بسرعة قبل أن تسمع ردّها:

- طب لو اتجوزتي واطلقتي تاني.. لوما ارتحتيش معاه هتعملي إيه.. هتقعدي تستني تاني تقضي طول عمرك تستني.. طب وحياتك انتي فين.... عادي يعني واحدة إتجوزت ومرتحتش.. تقوم تشوف حياتها لغاية ما تلاقي واحد يستهلها.. مش تقعدي تستني يجي واحد تاني وخلاص اللي هو ممكن مترتحتيش معاه برضة..!

شعرت (نورا) بتوتر من حدّة الحديث بينهما، واتّسعت عينها دهشة من تجاهلهم (علا) للمرة الثانية فاعتدلت في جلستها وتحنّحت قائلة لتهدئة الموقف:

- يا جماعة كل واحدة فينا بتتكلم من وجهة نظرها هي....

وأكملت موضحة، تنقل نظرها بينهما:

يعني كل واحدة وشخصيتها.. اللي برضى بيه أنا ممكن ميرضاش بيه غيري.. واللي يشوفي من بره يقول إده إزاي عايشه كده أنا لو مكانها كنت عملت وعملت... بس الحقيقة إن شخصياتنا وأفكارنا مختلفة.. وكل واحد بيحكم علي التاني من وجهة نظره هو.. وفي النهاية كلنا صح...

رفعت (علا) خُصلة من شعرها الأحمر القصير عن وجهها وهي تُخرج علبة سجائرها وتُخرج سيجارة تُشعلها بسلام نفسي وهدوء

وكأنها لم تتأثر بالحديث، فالتقوا لها، لتخرج دحّاناً من فمها ببطء  
رافعة حاجبها وترفع رأسها لأعلي، قائلة:  
- في أيه.. كملو كلامكو.. سكتوليه.. أنا مُستمعة جداً!!

سكتوا جميعاً من سخافة الموقف.. كانوا يريدون هذا التجمّع  
منذ فترة ولا يدرون أنهم تغيّروا عن بعضهم هكذا بالرغم من عدم طول  
الوقت لأخر لقاء لهم.... لكن هناك دائماً فترات في حياتنا تغيرنا للأبد  
(فترة الرحلة الأولى للتغير)..وغالباً هذه الفترة في أوائل العشرينات  
عندما نتخلّص من حياة الحصوص والفصول ونخرج لعالم تطبيق  
النماذج الحقيقية فنصطدم بنظريات وتجارب غير الذي تعلّمناها....  
فنتغير!! كما تتغير المعادلات علي حسب طبيعتها الداخلية والظروف  
المحيطة بها.. فلا تتعجبوا عندما نظل نتعلم اللغة الإنجليزية منذ  
صغرنا وعندما نتخرج لا نستطيع تحدّثها.. بل نتغير.. ونتفاعل مع  
الظروف المحيطة بنا ونخترع لغة (الفرانكو)!!

ظلت (علا) تنفخ بدحّانها مستمتعة وكأنّها بمفردها،  
شعرت(سما) باختناق من تدافع الكلام داخل حلقها ولكنّها تحبسه  
بارتشاف قهوتها، في حين (مريم) مُعلّقة نظرها علي التراييزة شاردة،  
و(نورا) تتحسّس بطنها تشعر بألم من حملها..  
في الظّاهرهن يشتركن في المشهد،ولكن كل منهن الآن تسبح في  
عالمها الخاص، من المستحيل أن تشعر إحداهن بالأخري مهما قالت..  
فمن من اقتربوا منّا مهما اقترابهم يصلون لأعماقنا!؟

رفعت (علا) رأسها ناظرة للسماء في هذا الكافية المكشوف  
مبتسمة تضع رجل علي الأخري تسمع موسيقي خلفها تملأ هدوء  
المكان،وازدادت ابتسامتها تدريجيا حتي همهمت ضاحكة وقالت

مخترقة إبحارهم بنبرة ساخرة ضاحكة:

- يخربيت النكد اللي انتوا فيه مالكو مكبرين المواضيع ليه..  
ثم نظرت لهم بعينين حالمتين وأكملت بنفس أسلوبها:  
- مكبرين المواضيع لدرجة إنكوا نسيتموا تظمنوا عليًا واحنا  
بقالنا اكر من سنه مشوفناش بعض؟! فو..

قالت (سما) تقاطعها بسرعة:

- إحنا عارفين أخبارك علي فكرة.. كنا بنسأل عليك دايماً..  
بس كل اللي مش عارفينو هو انتي مرتاحة في حياتك إزاي كده!!

كانت (سما) تتمني في يوم أن تلتقي بزوجة تخون زوجها لتفهم  
ما طبيعة شعورها تجاه ما تفعله، ولكن لا تتخيل إنها صديقتها..  
فهمت ما تقصده، مالت (علا) للأمام قليلاً.. أخيراً تتحدث أمام  
من يعرفون حقيقتها.. تتحدث دون لبس أقنعة، نظرت (نورا) ل(سما)  
لائمة من سؤالها، و(مريم) ما زالت شاردة معلقة نظرها علي اللاشيئ  
تسمع حديثهم لا تصدق لما وصلوا له.. تشعر أنه حلم.. فقالت(علا)  
كمن يتجرد من لباسه ليعلن حقيقته، دون أن تنظر لإحداهن :  
- إحساسي!! أول مرة من فترة حد يسألني عن إحساسي..

وأكملت بعد لحظات:

- كلنا زي بعض وقعنا علي دماغنا.. بس الفرق هي طريقة  
تعامل كل واحد مع وقعتمو..  
وأشارت علي(مريم) وقالت بسرعة تريد أن تنهي كلامها :  
- في اللي بيقع ويفضل مستني اللي يقوموا..

وأشارت علي(نورا):

- واللي عمال يغرق وسايب نفسه..!  
ثم أشارت ل (سما):  
- وإنتي بتحاربي عشان تقومي وتكملي وتثبتي إنك متوجعتيش  
وقالت ببطء ناظرة في عين (سما):  
- بس انتي إتوجعتي....

كادت (سما) أن تتحدث، فقاطعتها (علا) مكملة بتفاخر غريب:  
- أنا بقي الواقعة جننتني ولا عرفت أقوم ولا عارفة أفضل  
واحبس نفسي في مكاني.. فعادي بقي.. يعني كلنا في نفس المركب.. كلنا  
خارجين من نفس الحادثة....

التفتت لها (مريم) بغضب مفاجئ قائلة:  
- مين دول اللي كلنا في نفس المركب..  
وأكملت، في حين (سما) أراحت ظهرها للخلف تبتسم بذهول،  
و(نورا) اشتدَّ عليها الوجد:  
- انتي لوحدك..

وأشارت علي (سما) مكملة:  
- إحنا اطلقنا أه بس محترمين.. أكرملك إنك تطلقني ولا إنك  
تخوني..!!

ردت (سما) ببسمة ساخرة، كأنها تتكلم بلسان (علا):  
- طب والناس.. أبقى مطلقة..

رمقتها (علا) بنظرة جانبية وهي تشعل سيجارة ثانية ببرود تام

---

تتجاهل نقاشهما، رجعت (مريم) بكرسيها للوراء قليلاً من عصبيتها  
وهتفت :

- ناس ايه..؟! وهي الناس بتسيب حد في حاله أصلا كده كده  
بيتكلموا.. يبقي مفرقتش متجوزة من مطلقة..

سمعت (علا) تهمس :

- من خاينة..

وقفت (مريم) صائحة فيها:

- انتي عبيطة ولا بتستعطي..

التفت الناس لهم من صوتها، مدت (نورا) يدها تسحبها  
لمقعدها، لتقول (نورا) من وسط ألامها ناظرة لهم :

- إنتوا إزاي قاعدين بتكلموا كده عن الخيانة..

وعلت صوتها وعينها تدمع :

- إحنا إزاي بقينا كده.. إزاي يا أصحابي بقينا قاعدين قاعدة

واحدة بس كل واحدة في حنة غير الثانية..

وأكملت تدقّ بيدها علي التريزة :

- لأ وإيه.. بنتخانق بدل ما نسند بعض بنقطع ونعاير في بعض..

ابتسمت (علا) وهي تأخذ نفساً من سيجارتها وتقول ناظرة

للسماء مرة ثانية وتهز برأسها:

- سند؟! دول أهلي أول ناس مش وقفين في ضهري.. فككؤم من

الجوده.. ده السند نفسه عايز سند عشان يتسند هو!!

زفرت (مريم) في ضيق تشاور ل(سما) تريد إخبارها أنها تذهب،

(سما) شاردة تماما في إبتسامتها، تحاول تجميع شتاتها، رأت أفكارها

مبعثرة من ثقل النقاش، أدركت أن (علا) لابد التعامل معها كالمُحدين بحذر فمثلهم الكلام معهم في بعض الأحيان يزيدهم من إحادهم، فلا تفهم ما الذي تقوله لإنسانه تبرّر الخيانة عن الطلاق، وتراها تتكلم بكل فخر، ما الذي أوصل بها لهذا؟ وكم من يفكرون مثلها؟ وما هو الحل؟ الخيانة... أم الطلاق؟!!! وكيف الناس إلي الآن لا يفهمون أن ليس كل متزوجة شريفة.. بل ليس كل مطلقة (سهلة)!!

أفاقت علي صوت (علا) تقول:

- من الآخر كده أنا قدام الناس واحدة متجوزة وده اللي

يهمني..

وكان كل الإختيارات إمّا طلاق، أو خيانة.. ألا يوجد هناك أبواب جديدة يمكننا فتحها.. حاولتي بكل الطّرق تغيّر مسار علاقة زواجك للأحسن؟ لماذا نختار الأسهل والأقرب دائماً؟ (خيانة وطلاق).. حاولتي التجديد، التغير، السفر، انشا الله عملي أكلة جديد، حاولتي تعفري بجد لإستمرار علاقتكم بشكل صحّي، حاولتي بجد بالأفعال ولا حيطتي إيدك علي خدك واشتكيتي مرة واتنين واتخنتي، وبعد كده قررتي (بالأسهل).. حاجات بسيطة ممكن تفرق أوي ف العلاقات.. بس إحنا بنستسهل..!

جاء هذا الكلام في عقل (سما)، رن جرس الهاتف لينقذها من فوران دمها، قامت تأخذ هاتفها وهي ترمقها بإستغراب، تتجه ناحية سور الكافية لتقف علي بحر هادئ، تراه أمامها ظلام الكون الذي تعشقه واستنشقت الهواء لتملاً جسدها حياه، وترد بهدوء مُتبادل من البحر:

- أيوة يا(ثائر)..

\* \* \*

## (٤)

فضحكا بصوت عال...  
 قاطع ضحكهما، صوت هاتفها الملقى علي الأرض بعيداً عنهما...  
 لم يبدو عليهما أي اهتمام، في حين بادر هو قائلاً:  
 - مش هتشوفي مين ولا إيه... -

هزّت رأسها نافية وهي تشرب قهوتها، ثم قالت بهدوء شديد:  
 - الرقم....

هتف بفضول:

- لسه بيتصل بيكي...

ردّت:

- إنسان فاضي.. كل م أرد عليه يسكت وميردش...

وأكملت بهزه من رأسها وبسمة صافية:

- طب أنا فاضيله أنا بقي....

رمقته، وجدته ينظر في ساعته...

شعرت أنه يتسائل..

كيف عرفت أنه الرقم دون النظر في الهاتف....

لم تستطع كتم ضحكها وهي تجيبه علي تساؤلاته:

- أنا حاطّه للرقم نعمة خاصة..

رفع عينيه وهو يضحك....

\* \* \*

- أيوة يا (ثائر)....

وأغمضت عينها، داخلها معارك، تريد أن تشعر بأنّه معها

فقط ولوبصمته، تُركّز علي توحيد أفكارها، ما أصعب إحساس تدفّق

الإشارات الكهربائية للأفكار دُفعة واحدة....

لم يتكلم، فهم من نبرة الصَّوت ارتباكها، سمع الموسيقى الهادئة  
من ورائها، فدندن بصوت هادئ مع الموسيقى ليَلفت انتباه عقلها  
للاسترخاء....

التفت عقلها بالفعل للموسيقى فتداخلت الأفكار مُتسارعة  
تدور حول بعضها كالإعصار وخرجت منها بارتعاش جُفونها..

سمع تهديدتها، فابتسم وقال :

- أهلاً وسهلاً..

ردَّت بصوت مُرتعش:

- أحلي حاجة إنك بتيجي في وقتك..

رأت خيال جانبها، فانتفضت ونظرت له بتوتر. رأت رجل يقف  
علي يمينها بخطوات بسيطة، يستند إلى السور برأسه، يمدد يديه  
خارج السور يشبكهما ببعض، يرتدي جاكيت أسود ويُغطِّي رأسه..  
عقدت حاجبها، تنحنح (ثائر) قائلاً:

- بتروحي فين.. حاسس إنك مش مضبوطه.. في ايه ياسما انتي

فين ومين معاكي.

ردَّت بصوت بعيد:

- أنا قعدة مع صحابي.. انت خلصت شغل ؟

جاوب عليها:

- لسه شوية..!

هزت رأسها كأنه يراها لا يهاتفها وأغلقت معه وهي ما زالت  
تنظر للرجل، دققت به لم تر إلا سواد في سواد ولا يتحرك، ظنت أنه  
تحت تأثير المخدرات من عدم شعوره بأي شيء حوله، لا تعلم أن هناك  
أحزان تملأ شرايين الجسد أكمله.. وأقوي من المخدر..

فَكَرَّتْ هل كان موجودا عند مَجِيئِها وهي لم تره.. أم جاء بعدها..

لا تدري!..!

التفتت لأصدقاءها، رأت الصورة كاملة من بعيد، يجتمعون علي الشيء المُستدير ذاته لكن كل منهنَّ في مكان مُنفصل، في الحقيقة هم متباعدون تماماً عن قريهم، أما الجميل هو اختيار القُرب مهما كان ابتعادهم!..!

تقدمت خطوات ترجع لأصدقائها، هناك شيء يجذبها نحوه، يريد أن يوصلها رسالة، قاومت إحساسها وخرجت من إطار جاذبيته واندفعت للتراييزة، جلست مكانها، تقول:

- ايه يابنات هترَوِّحو ولا تعملوايه..

حاولت (سما) عدم التركيز معه ولكن نظرها يخدعُها، أطالت النظر به وهنَّ يقمنَّ للذهاب..

دخلت البيت لم تجد أحد من عائلتها، رَمَت (سما) المفاتيح علي الكنبه وجلست في الصَّالة قليلاً ما تجلس خارج غرفتها، ما زالت تشعر بمحيطه يحتويها، جاء في بالها أن تذهب له، تردَّدت، تقوم وتجلس.. من هذا الشخص؟! أخذت مفاتيحها ونزلت من البيت تتجه نحو الكافية تتطاير الأسئلة من رأسها حتي وصلت المكان، تميل برأسها للأمام قبل أن تدخل لتري أما زال هناك.. أم لا..

وجدته علي نفس وقفته، صوّبت نظرها عليه وهي تقترب منه، كلما حَظَّت للأمام تري الصورة علي جانبيها ترجع بها، حتي وقفت بجانبه مثل وقفته الأولى، لم تلبث لتسمعه يقول:

- جيتي تاني؟

بعدت عنه خطوتين لليسار تشعر بقلق ما، لا تلقي رد علي سؤاله، لا تعرف هي لماذا جاءت؟! فظلا صامتين لفترة طويلة كلُّ علي وضعه، ناظرة للبحر، فقال الرجل:

- ليه ركزتي عليًا وانتي قُدَّامك وسع البحر والسَّمَا والكون كُلُّه  
وكنتي بتكلمي أكثر حد فاهمك..

سبتي كل ده وركزتي معايا أنا.. ليبييه؟!  
وسكت لحظات وأكمل:

- ومشيتي ورجعتي تاني.. ليه برضه؟

اتَّسعت عينها، حاولت تبحث عن إجابة، عَبَّثت بوجهها من  
إحراجة لها، استدارت بجسدها كي تمشي، فقال بصوت لا تعرف له  
معني:

- انتي حاسَّة إنك شبهي !!

التفتت له (سما) تميل برأسها عليه لتضع فَمها عند أذنيه  
قائلة بقليل من العصبية:

- انت عايز أيه؟  
رَدَّ عليها بهدوء:

- انتي اللي جيتي.. أنا مجتث جانبك.. كُلُّكم ليه شايفني إن أنا  
الي عايز.. مع إنكو انتو اللي بتيجو جنبي وتسيبو كل حاجة حلوة في  
حياتكو وتركزو معايا.. والله أنا اللي نفسي أبعد عنكو... بس ده قانون  
!!

شعرت بحيرة لا تُحِبُّ الأُلغاز، زفرت وهي ترجع مكانها ناظرة  
للبحر مرة ثانية، وسألته مُترقِّبة رُدُّه:

- انت مين؟!

= (الحزن.. الخوف.. اليأس)

وهز رأسه وهي ما زالت مغطاة علي السور، وأكمل:

- كل ده خيال زي الشخصيات في عقل كاتب..!

بس دُول في عقل كل فاشل..!

رَدَّت (سما) بضيق:

- أنا مش فاهمة حاجة...

أكمل كلامه :

- بس ده قانون.. أي حد بيفكر في حاجة وبيؤمن بيها بتحصلوا..  
وقال بصوت يريد البكاء :

- الحزن والخوف موجودين عشان يدفعوها للتغير وقت ما يلزم الأمر لكده.. بس من كتر التفكير فيا بشكل يومي وتلقائي في حياتكو جسدتوني بشكل أكبر من اللازم لدرجة الإعاقة للحياة ذاتها

ورفع رأسه قليلاً وظهره ما زال منحنى، انقبض قلبها وارتجف بصرها ساندة علي السور في وضع استعداد للهروب، تحاول النظر إليه، الهواء اشتد فلا تراه جيداً، وفتح يديه ناحية البحر قائلاً بصوت عميق:

- كل الوسع والجمال ده وبتدوروا وتركزوا علي فتحات سوده في أي حاجة عشان تشوفوا منها الدنيا كلها..

والتفت لها فجاءة وقد اشتد الهواء أكثر، ركزت علي وجهه من بين غطاؤه لا تراه إلا سواد لا يوجد ملامح، فزع قلبها رجعت خطوات كبيرة للوراء....

عندما تدخل في صراع بين عقلك والواقع.. لا تخف.. إنها تصفية حساب بين الماضي وما هو مُنتظرك.. فنقي روحك هذه اللحظات.. واستمع لهواجسك جيداً ففيها رسالة لباقي عمرك.. وإن كان لا بُدَّ من الخوف.. فخاف أن تخرج من هذه الحالة بدون فهمك للرسالة...!!!

التفَّ لها بظهر منحنى من كثرة الحمول وأشار علي قدميها وقال بطريقة تفصيلية :

- قانون الجاذبية الأرضية بيلزم وجودك علي الأرض...  
وأكمل وهو يشير إلي رأسها ثم أشار للفضاء أمامه :

- قانون الكون يقول أي حاجة بتفكري فيها لها تردّد معيّن  
بترسله للعالم.. والعالم يبزّد عليكي بصور لحياتك زي ما تخيلتها  
بالظبط في أفكارك....

حدّقت به تحاول فهمه، لم تفهم شئ، رأّت صورته تبتعد عنها  
تدريجياً كصور متقطّعة تقفل وتفتح تراه أبعد. ظلت علي حالها بلا  
حركة بعينين جامدتان، شعرت بطرقات ماء تضرب جسدها وشعرها،  
أحست بمن فكّت قيوده الآن.. الحرّية.. الحرّية لا تكمن في الأفعال  
فقط.. ولكن هي حرية الأفكار والمشاعر.. أن تطلق سراح عقلك  
ومشاعرك إلي الكون كله.. وهذا يتعدّي حدود الفعل..!

رفعت رأسها للسما التي تؤكّد كلامه بخيرها.. شعرت بالماء علي  
وجهها.. واستنشقت هواء مأكيانها.. وهوت علي الأرض بركبتها نسيت  
أنها في كافية لا تشعر بأي شئ إلا أنها في فراغ تام وحدها في مكان ما  
واسع، فارتعش جسدها، وسمعت صوت غير ملائم تماماً:

- لو سمحت يا فندم.. حضرتك قاعدة علي الأرض..  
أومأت برأسها أنها سوف تقوم، لا تريد الكلام الآن، نهضت  
ومشت لبيتها ببطء وكأنها تحلق لا تمشي..

وصلت البيت، ودخلت الغرفة وهي تقرر بدء (رحلة التغير  
الثانية)!

الفرق بين الرّحلة الأولى والثانية :

- الأولى إجبار.. أمّا الثانية اختيار.. فمناً من يكمل حياته علي  
نتائج الصدمات الأولى منها(وهذا حال معظمنا)...

ومناً من يُفكّر ويقرر كيف يغيّر حياته ويبدأ بالفعل في مغامرة  
لتشكيل حياته كما يريد هو.. وليس كما تُشكّله التجارب علي مزاجها..

\* \* \*

(٥)

كادت الغرفة و(سما) والظلام أن يصبحوا كياناً واحداً من كثرة  
مُكوّنها في تلك الغرفة طوال اليوم.. لم تخرج منها إلا للضرورة وفترة  
الشغل فقط.. وترجع راكضة لها كأنها تهرب من الدنيا كلها وتختبئ  
فيها.. تعزل كل ما حولها، سكّنت غرفتها لدرجة مخيفة.. سكّنت  
جسدها الذي غاب عنه الحياة لفترة طويلة  
( في فرق واضح بين عزّلتها، وبين حبسة «مريم» )

ليس لأنها خائفة من المجتمع لتلك الكلمة....  
لا....

بل تريد أن تعرف مدي سطحية هؤلاء الناس الذين يتكلمون  
كلاماً لا يعرفون أساساً من أين يأتون به، أُملي عليهم فقط....  
ولا شئى سوى القراءة تقوم بهذه المهمة علي أكمل وجه....  
ظلت تقرأ، حتي أصبحت مدركة الحياة تماماً....  
بدأت تنظر لكل ما حولها بنظرة استهانة....  
لا تعرف حينها.. هل تشكر طليقها علي ما فعله بها....  
لو ما مرّت بما حدّث معه، كانت ستظل تحلم بنفس الحلم  
الذي أدركت الآن أنه ليس حلمها من الأساس....

- الفرق بين الحلم والواقع

الحلم ينبع من أعماق ذاتك.. يزحف إلي عقلك في خانة  
الخيال.. شئى يخصّك وحدك.. يرتقي بك إلي عالم الواقع إذا حققته...  
لا يُفرض عليك....

أما الواقع بالنسبة لي :

هو معاملة الأسرة لفتاتهم لكي يُجبرونها علي الزواج بطريقة



المغامرة.. أفضل أن أري أمامي مُغامراً ولا أن أجلس مع رجل ينصحي  
يُسَمِّي (حكيماً).. أحب التعابير الجسدية.. لا اللفظية !.. أعشق  
الركض والتحليق بعنادي فوق كل موقف يعيقني عن هدفي تحت  
مسمي (الظروف)..!

أنا من أصنع حياتي.. يلزمني الشجاعة والقوة في قراراتي..  
ويلزمني الكبرياء في تجاهلي للناس.. أحتاج الكذب في بعض الأحيان  
علي نفسي لتشجيعها علي ما أريده.. أحتاج الصرامة لمحاسبة نفسي  
علي تأخرها في إنجاز ما كان مطلوب....!

أنا مدينة بالكامل.. اكتفيت بنفسي ولا ينقصني شيء.. تعلمت  
الاكتفاء الذاتي في وحدتي فاطمئن قلبي.. ويكفني أن عدم انتظار شيء  
من أحد راحة بال!

أنا أخوض حربا من أخطر أنواعها.. الحرب مع الذات ...  
أنت حُر لدرجة مُريبة.. فلا تدع أي شخص أو أي فكر يُحجّم  
انطلاقك.. لعلمهم يجهلون ما تقدرُون!  
امضوا في حياتكم صمّ بكم عمي.... لا تردّوا علي أحد.. دعوهم  
يتكلمون و اعملوا ما ترغبون....

جالسة (سما) علي مقعد خشبي في الشرفة، تحب أن تشعر  
ببرودة الجوتداعب جسدها، تحب ارتعاشها من لذة انتعاش روحها،  
ترتدي قميص حرير طويل أسود اللون ليظهر لون جسدها الخمري  
الذي يوجد به لامعة كمن رآه قطعة من الذهب، يعرض ساقها بشكل  
خرافي من الجمال ويحوّط آخره ليزيدها إثارة بما يسمي «خلخال»  
تحب أن ترتديه دوماً.. ومن من يُحب الرقص لا يُحب ارتداؤه؟! فهو رمز  
للارتقاء بالنسبة لها، شعرها المتدلي علي جانب رأسها يفتش كتفها  
وتغطي المقدمة نصف وجهها الأيسر الذي يداعبه الهواء وهي تغمض  
عينها تبتسم وتمايل بجسدها، فليس بالضرورة وجود موسيقى

لتمايلها.. فمن يريد السعادة يخلقها داخله أولاً فيشعر بها ولو لم تكن شيئاً ملموساً بالفعل، تمايلت لصفاء ذهنها بما ينشده من أمنيات فتقع عليها كوقع المعازف لنشوة الأحلام..

ومن يمتلكون منازل في أواخر الأدوار يعرفون معني سراح العقل للتفكير المطلق للحرية، أن تنظر للسماء مباشرة دون تشويش سكان الأرض عليك فأنتي بعيدة كل البعد عنهم.. أنتي فوقهم بأدوار عديدة فمهما نظروا لها من موضعهم هذا لن يرو رُبع جمالها.. فقط يلزمهم بلوغ القمة ليروها مثلك، فلا تلومهم علي عدم اقتناعهم بما ترين من جمال الدنيا..!

وأن تختلي بنفسك وأن تشعري بأن مملكة السماء بكاملها وامتدادها ملكك وحدك وأنت أنت الوحيد الآن وعلي الأقل في محيط ما تراه من حولك من تتأملها بصمت وتهمس بصوتك لها لترد عليك بنسمات هوائها تطمنئك وتنظر لك بعين نجومها كما أنتي تنظري لها تماماً، تشعرين بعمق سوادها لترسل هي لروحك إلهامات مختلفة لاكتشاف جزء غامض فيك كان يُخفي الإفصاح عن ذاته فتخلي عن كبرياءه أمام فخامة السماء وخضع لتشكيله.. ما أجمل السماء أحبها لدرجة أنني لا أكفُّ عن النظر عنها، وأنها مقصدي حتي وأنا أسير وسط زحام الأرض لا أراهم إلا خيالات، فأنا مُحلّقة في سمائي طيلة الوقت فأتخيلها في عقلي حتي أنفرد بها وحدي، كان الجو بالفعل شتاء قارص، السماء تنقطعها كرات من الثلج تتسحب وتسير ببطء علي صفحة السماء كمن تُداوي جرح ما بخجل..

تأملت (سما) جمال السماء، تراه السماء في كل مرة تعطيها رسالة ودرس غير الذي قبله فهي لم تُبد علي حالها أبداً..!

تقلب من النهار للليل والليل للنهار من قمة الوضوح والشفافية لقمة الغموض تراها صافية تارة وتارة أخرى غاضبة تُعلن صُراخها وتكشف عن أنيابها بخط من النور مُرعب والأغلب في النهاية تداعبك بقطرات من المطر لتخبرك أن بها خير، ولكنك تمنعه بأسلوبك..!!!

بل وأيضاً في هذا الوقت كل طلباتك مُجابهة، فأنت من الظاهر لا تستطيع إلا إخراج الجزء السيئ منها، فتنقلب عليك بريح غاضبة تثير كل ما حولك من صغائر الأمور كالرمل تنشرها في الجو لتخنك بها.. ونفس الرياح تكون في وقت آخر نسيمات تداعب أجمل لحظات قلبك الرومانسية.... كم تشبه الإنسان!

حقاً تشبهنا كثيراً بل بتطابق غريب ولكنها عزيزة.. لا أحد يستطيع الوصول إليها إلا باختراعات أدوات وحجز أماكن وتذاكر وانتظار وخوف من الصعود لها مع الرهبة حتي في وضوح نهارها وتأمينات علي من يريد الوصول إليها أن يصل لها بأمان واحتياطات أمن هائلة.. ويصعدون لها ثم يهبطون منها ولا تتأثر بفراق أحدهم، بل جميعهم.. تقف شامخة صامدة لا يرتجف لها رمش بل تستقبل أناس آخرون، وهذا هو الفرق الوحيد بيننا وبينها، نحن نُوقف حياتنا لأناس لا يستحقون ونهار عندما يهبطون وأحياناً لا نستقبل آخرون!!

ابتسمت (سما) عندما استشعرت هذا الفكر بوجودها من تفاهة الناس، تراه نفسها أشبه بالسماء، وحيدة جدا بالرغم من كثرة مَنْ يتأملوها من بعد!، تراه في نفسها أقصى أبعاد الغموض وفي نفس الوقت واضحة وصريحة كالشمس في وسط السماء، لا تتأثر أبداً بمن يتركوها، وبفخر تقول أنهم من يتركوها.. فهل يُعقل للسماء أن تترك مسافريها وترحل عنهم!، بل هم من يهبطون منها!

لا يوجد هناك شخص حتي الآن يقدر قيمة هذا الصمود،

فقط يرونها لا تسمح بأن تكون زوجة. وكيف بمثلها تُصبح زوجة لرجال عقولهم أشبه بطبقات الأرض الصلبة، فهناك فروق لا يمكن واستحالة تقاربهم..!

رجعت رأسها للخلف لتسندها إلى الحائط وسمعت صوت مفاجئ علي أذنيها لم تسمعه منذ فترة يأتي من خارج الغرفة، توترت ملامحها قليلاً ثم أراحت عضلات وجهها بابتسامة صغيرة فبقدر صغر الابتسامة إلا إنها تحرك ١٤ عضلة بالوجه وتُرخي كل أعضاء الجسد ..!

لاحظت فتح الباب بعد طرقات خفيفة لتدخل صاحبة الصّوت المزعج علي قلبها، لم تلتفت (سما) ليخترق سكونها من لا تعرف الاستكانة أبداً:  
- شكلها نايمه الدنيا ضلمه أوي..

أضاءت النور من لا تعرف إلا ظلمة القلب والعقول، لتراه الغرفة فارغة وباب الشرفة مفتوح والستارة ترفرف بقوة من شدة الهواء في دلالة علي الحياة التي لا تعرف قيود، والنفس التي لا تُعرّف نفسها من خلال حدود جسدها فالروح محلها الكون كله يصلح ويجول في أنحاءه، فالجسد نقطة بداية انطلاق الروح فقط.... فعلمت أنها بداخل الشرفة..

دخلت بجسدها العريض الضخم وجلست علي السرير وهي تقول باستفزاز:

- مش هتيجي تسلمي علي مرات اخوكي ولا أيه؟!  
لم ترد، ولا كأن أحد تكلم أصلاً، ومن داخلها هكذا السلام النفسي الذي يبدو عليها، لتسمع صوت آخر نسيتها من قلة سماعه فزادت ابتسامتها الجانبية ساخرة منهنّ وهي ما زالت ساندة رأسها للوراء..

- أمال فين سما!!!

= مفيش.. أختك قاعدة جوه ولا محترمة وجود حد..

قالتها صاحبة الجسد العريض وهي تشير للشرفة..

دخلت الفتاة الطويلة الشرفة لتراها مغمضة عينها في

تجاهل، فوقفت جانبها وهي تقول ناظرة لها :

- مالك يا بنتي.. أمك بتقول إنك بقالك أكثر من سنة بعيدة عن

كل الناس يا دوب شغلك وبس.. ليه كده !؟

اعتدلت (سما) بعد فترة من الصمت ونظرت في عين أختها التي

توحي بالخوف والقلق عليها !..

كم ظلم اقترتموه ثم تأتوا لترسموا علي وجوهكم مشاعر طيبة

وكأنكم لم تفعلوا شيء، لو أنكم بهذا القدر من المكر والخبث فأنا غيركم

لا أتحمليها ولا أستطيع التغاضي عنها وأمكر مثلكم، فلذا أتجاهلكم ،

ولو الصدفة جمععتي بكم سأرهقكم برودي كما أرهقتموني بظلم !

لا تجد (سما) ما تقوله لأختها، تحشرج الكلام بحلقها، وهما

ناظرتان كل منهما بنظرة مختلفة تماماً للأخري، لا تظنون أن معني

أننا تركناكم تفعلون ما نعلم به من مكر، فإننا لا نستطيع مواجبتكم

ولكن ما أخذتموه منا يوماً سنري أثره عليكم فيما بعد خراباً.. وكفي

به حقاً رجع لنا..!

فأشاحت (سما) بنظرها بعيداً عنها، ورفعت عينها للسماء

وهي تتحسس شعرها المفترش كتفها ، لتتفحصها أختها بملامح غريبة

تتساءل كيف يبدو علي شكلها الإثارة والجمال بهذا القميص والخلخال

والشعر المصفف جانباً، ثم لمحت السلسلة الفضية التي ترتديها تزين

عنقها بين فتحة القميص، لاحظت الجناحين المملوئين بالفصوص

ويتوسطها خاتم زواج بسيط وبه فص واحد متجه للأعلى وتمسك

السلسلة من آخر الجناحين في علامة أن الخاتم سيظير.. كيف كل هذا وهي ليست متزوجة بل مطلقة.. من أين تأتي بهذه السعادة ، ثم نظرت علي حالها.. وكيف أبدوا أنا بملابس عادية ولا أملك ربع إثارتهما ولا سعادتهما وأنا متزوجة..

فقاطع حديثها الحفدي صوت من خلفهما :  
- أهلا بالناس الحلوين..

فضحكت (سما) فور سماعها صوت صديقتها (علا) والتفتت لها بترحاب شديد، مما قد أغضب أختها بالمقارنة مع مقابلتها لها، من يمتلك قلباً طيباً للأسف لا يستطيع التحكم بلامح وجهه للتعبير عن شيء بعينه.. هو فقط يعمل تلقائياً.. فعذراً لمن يريدون نفاقهم !  
فانطلقت كمن أشعل في قلبها نار فتهرول لإطفاء غيظها، سلمت (علا) علي (سما) وهي ترمق أختها وهي تذهب، ووقف جانبا قائلة بصوت منخفض وتميل عليها :

- هو في ايه.. ومال مرات أخوكي قاعدة كده ليه؟!  
لمعت عين (سما)، قائلة بطريقة من انتصر:  
- سيهم هما متغاضين مني.. المهم انتي أبوكي طلع من المستشفى ولا لسه؟

= لسه.. عادي بقي مش فارقة..  
قالتها (علا) بلامبالاة..  
ثم قالت وهي تشيح بيدها في علامة أن ليس مهماً  
- بتسأليني علي أساس إن فارق معايا يخر..

همست (سما) ل(علا) وهي تشير لها أن تسكت :  
- ششششش..

وانفصلوا تماما بالكلام عن المشهد الذي ورائهم، ومن كلامهم  
علي (سما)..!

وأكملت بابتسامة مرهقة :

- مفيش اكر من إنك تشوفي أمك واخواتك بيتفقوا عليكي  
وياخدوا ورتك ويخططوا ويبيعوا أراضي ويقسموها علي بعض وإنتي  
ولا كأنك تعرفي حاجة وكل ده عشان أيه.. عشان فاكرينك عايشه  
مبسوطه مع جوزك اللي باين قدام الناس إنه مرتاح مادياً وهو أصلاً  
أبخل من البخل، وإن أختك جوزها علي أد حاله وأخوكي راجل طبعاً..!  
تراجعت (علا) قليلاً لتغلق الشرفة من أن أحد يسمع كلامها،  
وهي تكمل :

- بس في الآخر أيه.. م هو أنا اطلقت أهو وبعدين ربنا مش  
محدد الورث الغني من الفقير.. أنا اتظلمت.. واتظلمت كمان لما وعيت  
علي الدنيا ملقتش أب يحضني ويحتويني عشان كده اخترت أول راجل  
إتقدملي ولأني مفتقدة أي إحساس بالأبوة بالرغم من وجوده وكان  
عايش !

اليتم ليس بموت الأب.. كثيرا منهم يعيشون ولا نشعر بوجودهم  
بل أحياناً يعيقون طريقنا..!

وسكتت قليلاً لفوران عقلها بالأحداث، وأخرت (علا)

هاتفها، فمالت سما للأمام وهي تضحك بألم في قلبها ورفعت  
جسدها وهي تسمع موسيقي من هاتف صديقتها،

**Stranded, reaching out**

وحيدة، طلبت مساعدة..

تعلم (علا) أثر تلك الموسيقي علي روحها.. فأراحتها، وتعلم  
جسد صديقتها الذي لا يتحمل أي موسيقي ويضعف بالتراقص،  
فرفعت جسدها بتراقص حزين مُتقطع علي لحن الموسيقي ليظهر  
القميص الحريري الواسع مخابئ جسدها..

I need ya , I need ya  
I need you right now

أنا أحتاجك، أنا أحتاجك  
أنا أحتاجك الآن

نفذت الموسيقى داخلها، إلي كل ركن به حزن أثقلها، فشعرت  
برجليها تخف من علي الأرض فهبت واقفة، يتراقصان هي وصديقتها  
في الشرفة الواسعة لا يراهم أحد، في مشهد عجيب إختلا ببعضهما  
كل من تختار الحرية بطريقة مختلفة!، واجتمعوا في هذا الوقت علي  
السعادة والوحدة وظلام الكون حولهما والسماء الناظرة لهم هي  
الشريكة الوحيدة فالمشهد..

تركوا كل الخلافات العائلية ورائهم.. ورائهم بخطوات بسيطة  
جداً يفصلهم فقط الباب.. وكفا النظر للأسفل، كفاً بمراقبة الناس  
من فوق أو إعتبار وجودهم من الأساس ونظرا للسماء، ورفعا يدهما  
للأعلي ورقصا وهما يغنون مع الموسيقى بصوت عالي....

I think I am losing mind now  
It is in my head, darling I hope  
That you ll be here, when I need you the most

أنا أعتقد إنني أخسر عقلي الآن..  
إنه في رأسي، حبيبي أمل..  
أن تكون هنا.. عندما أريد أكثر..

\* \* \*

(٦)

الساعة ١٠ صباحاً...

جالسة علي مكتبها....

نظرت للباب لترى أمها تدخل عليها بطريقة أمهاتنا التي نعرف

حينها ماذا يُريدون منا....

أشارت (سما) لأمها في علامة أنها تفهمها....

سألته الأم في محاولة أن تكون هادئة :

- وصلتي لفين... خلصتي حسابات المحل ولا لسه..

ترد (سما) وهي تقلب في الدفتر الذي كان أمامها، في حين الأم

تجلس علي السرير:

- خلصت آه.. ناقص بس تشطيبات الافتتاح وخلص..

بكت الأم فجاءه....

لماذا يرون أن الفتاة ليس من حقها أن تفعل أي شيء غير

الزواج....

رفعت عينها لأمها في ذهول لتقول :

- بتعيطي ليه...

كنتي هتبقي مبسوطه لو كنت متجوزه وكل يوم بنام معيطه..

ولا هتبقي مبسوطه لو كل شويه بضرب واتهان..

دخل عليهم شاب طويل، وكأنه كان يسمع حديثهما من الخارج،

نظرت له واتسعت عيناها من المفاجأة لم تره منذ فتره طويلة، قال

لها :

- يعني مش هتوافقي بالعريس..

ردت (سما) بدون تفكير:

- مش هو افق بحد ومش هعيش عيشة أنا مش عايزاها....  
ثم أكملت بصرامه وهي تنظر لعينيه نظرة حادة :  
- الراجل طول ما هو عارف إن الست ملهاش مصدر رزق  
غيره.. ولا بيت غير بيته.. بيدلها ويكسرهما عشان عارف إن ملهاش حنة  
تروحها ولا حد هيصرف عليها وعلي عيالها..  
وأكملت :

- عشان كده مش هرضى بأى عريس غير لما افتح المحل ويبقى  
عندي شغلي....  
جلس الشاب علي الكنبه أمامهما، وقال بأسلوب أمر وهو يُشير  
لنفسه :

- أنا أخوكي وعايز مصلحتك.. عايز أسترك....  
ضحكت فور سماعها كلامه، ونظرت له نظرة جانبية  
ساخرة، تذكرت أنه لم يسأل عليها منذ أشهر.. لا يعرف عنها شيء.. لم  
يرفع سماعة هاتفه ليطمئن عليها ولو لمرة..  
ثم ردت عليه رد مقتضب بوجه جامد:  
- أنا اعرف أسترنفسي كويس...  
في دعوة أن ليس من شأنك..

بعد ساعه من هذا الحدث....  
سمعت صوت بكائها يخرج من الهاتف...  
صاحت (سما) بقلق ل(نورا) في الهاتف:  
- في إيه بتعيطي كده ليه..  
لم تفهم شيئاً منها إلا أنها في بيت أمها..  
أغلقت الهاتف وركضت مسرعة إليها.. توقعت ما ستسمعه  
منها عندما تراها، دخلت سلّمت علي أمها، ثم دخلت غرفة(نورا)، لم  
تر شيئاً غير الظلام، لفت الدنيا بها...

العقل الباطن كائن لا يعرف التميز.. لا يعرف الحقيقة من الخيال.. يفتح لك كل الملفات في وقت واحد مجرد تشابه بسيط لنفس الموقف..

للحظة كانت ستنهار، تذكرت غرفتها، تذكرت ظلمتها.. شعرت أن هذا الموقف تكرر معها قبل ذلك مع تبديل الأدوار بينهما..

حاولت أن تُنفِض ذكرياتها وهي تدخل عليها، لم تلبث لتسمع صوت بكائها العالي يهز قلبها..

دخلت تتجه ناحية (نورا)، عندما رأت خيالها قامت احتضنتها.. هنيئاً لمن يجدون الاحتواء أوقات وجعهم.. احتضنتها (سما) بدون أي كلام، كل تفصيله تُذكرها بما مضى ثم جلسا معا، قالت (سما) لتُخرس عقلها :  
- ممكن تهدي وتحكي لي إيه اللي حصل..

شَهِقَت كالأطفال.. ثم رَدَّت (نورا) وسط بكائها بطريقة غير مفهومة :

- تعبت.. مشاكل مشاكل.. ومفيش تقدير وخيانة وقرف وكل ده ومستحيلة وفي الأخر يضربني ويهدلني وكان عايز يطلقني.. وقف سمع (سما) علي آخر كلمة، توقعت بالفعل كل الكلام الذي قالته إلا الكلمة الأخيرة..

(نورا) يتمناها معظم الرجال، تفعل أي شيء حرصاً لأن لا يُطلق عليها لقب مطلقة، دائماً تفكر في المجتمع..  
قالت لها (سما) مُطمئنة :

- متزعلّيش نفسك هو هيجي يصالحك.. ومش هيسيبك... هو بس بيهدك مش أكثر..

لم تجد كلام لتقوله لها، تعلم أن عقلها يريد أن تفتح له ذاك  
الباب  
ربّنت علي كتفها وسكتا لحظات، شعرت أن من واجبها  
كصديقة إخراجها من البكاء والحزن..  
فوقفت ببطء تتجه نحو التلفاز لتضيئه وفتحت علي القنوات  
الشعبية... دوّت الغرفة بالأغاني الراقصة..  
ومدّت (سما) يدها لتسحبها قائلة :  
- قومي يلا وفكّيها.. عشان نازل نكمل شرا الحاجات للافتتاح...  
تعوّدت (سما) في وحدتها التحليق فوق أي حزن بالرقص،  
هينئاً لمن يجدون لأنفسهم طرق للسعادة دون انتظار لمن  
يسعدهم..

ثم خرجتا من الغرفة لتقابلا نظرات أمها وأخوها الحائرة، وقفا  
أمامهما، (ونورا) تقول وهي تشير علي الشاب :  
- ده أخوية (أمير).. رجل أعمال بسيط كده علي أدّه..  
والتفتت لأخوها قائلة مُشيرة ل(سما) :  
- دي صحبتي وأختي..

نظر لها الشاب بطريقة غريبة يتساءل كيف تلك الفتاة جعلت  
أخته بهذا الفرح.. كيف بدّلت حالها.. كم هي جميلة...!!  
وانصرفتا لتجهزان للافتتاح....

مساء هذا اليوم..  
قال بصوت فرح :  
- مبروك أديكي حققتي أول حلم ليكي..  
لم يلقي ردى....

فأكمل ليقطع صمتها :

- تعبنا أوي النهارده.. لفينا كثير.. ربنا يكملها بكرة والافتتاح  
يعجبك....

شعر أنها تبكي، فصمت ليجعلها تلتقط أنفاسها...  
قالت فجاءه، ما كان ينتظره منذ مكالمتها الأولي له بعد طلاقها:  
- شوفت انت لما تهدي بيت.. وترجع تبنيه تاني ولوحدك..  
وأكملت بهدوء لم يبشّر بالخير:  
- أنا هديت كل حاجة جوايا.. هديت كل كلمة (المفروض)  
إتقالتلي وأنا صغيرة.. وبنيت مكانها كل حلم حلمت بيه زمان واندفن  
مع الوقت..  
وانفجرت صارخة :

- عارف يعني إيه واحدة تتجوز وتتطلق في أقل من سنه..  
عارف كام حلم إتهدي فوق دماغها وشالت شيله أنقل منها.. عارف كام  
مرة انضربت واتهانت وكل ما ترجع لبيت أهلها يقولولها معلى يا بنتي  
استحملي متخربيش بيتك....  
وأكملت دون أن تعرف ما زال هناك يوجد علي الخط أم لا، في  
حين هو ظل صامتاً يسمعها باهتمام:  
- الراجل يوم ما بيقع بيلاقي خمستلاف إيد بتسنده وخمستلاف  
إيد تانين بيقوموا....

وصرخت ثانية وقد اهتزاز صوتها من البكاء:  
- الست بقي لما بتقع مَبْتَلَقِيش غير خمستلاف رجل بدّوس  
عليها...

علاصوته وهتف غاضباً، ليُلَقِّمها درس لم يلقيها من قبل:  
- بقولك إيه.... مش عايز أسمعك بتتكلمي تاني في اللي فات..  
إقفلني السيرة دي خالص..

وعلاً صوته أكثر كي يُفِيقها :

- انتي بتستهيلي.. بكرة افتتاح محلّك ولسه قدامك خطط كتير  
عايزة تحققيها..

وأكمل بعصبية:

- ست إيه وراجل إيه.. أقسم بالله لو العالم كلّه ساند راجل  
هو أصلاً مش عايز يقوم مش هيقوم..  
لا تلوموا علي من رأى القاع، عندما لا يصدق أن هناك قمة  
حتي وإن بلغها !

- يوم الافتتاح....

أفاقت اليوم التالي علي صوت (نورا)...

- انتي لسه نايمة..

قالتها (نورا) بابتسامه :

لترد (سما):

- صباح الورد.. صباح التفاؤل....

لتضحك(نورا)، وتهتف بفرح :

- ايوا بقي....

وتُكمل :

- يلاً قومي ظبّطي نفسك.. وأنا هجيلك علي الافتتاح أنا  
و(أمير).. واتصلي بمريم شوفي إيه نظامها وأنا هكلم علا..

أغلقت الهاتف معها، واتصلت ب(مريم)....

- إيه يا(مريم) جاية النهاردة ؟

ردّت عليها (مريم) بصوت منخفض لكي لا يسمعها أحد:

- مش عارفة بس شكل جوزي مش هيرضا..

أغلقت معها الهاتف وعلي وجهها علامات استفهام؟

لماذا حبست نفسها (مريم) لتتزوج مرة أخرى، ومن رجل

مُتزوج، ولم ترتاح أيضاً معه....  
لم تُعدّ تعباً بأمرهن علي الإطلاق....

هناك سيدات يعشقن هذه الحياة، ويشتكوا منها ويقولون  
حظناً سيئاً، لكن في حقيقة الأمر أنهم هم من يختارون هذه الحياة،  
ولورجع الزمن بهم سيختارونها مرة أخرى، هذه هي الحقيقة التي يهربن  
منها بالشكوى....

- وقفت أمام المحل....

وقفت أمام المحل وعلي وجهها ابتسامة، تتأمل المحل بعينها  
الواسعة كَلوْحة فنّية، وَجْهة المحل اللَّبني اللَّون التي تُعشقه كَلون  
البحر والسماء، إتّسعت ابتسامتها أكثر عندما وقع نظرها علي  
الاسم..... روليتا.....

الاسم المَلون بنفس اللون اللَّبني التي يُظللها من خلفها باللون  
الروز..

الاسم التي طالما كانت تحلم أن تُسميه لابنتها..  
نظرت لتلك الأضواء اللَّبني والأبيض داخل المحل..  
عندما تغمض عينيك وتحلم بحلم ما.. وتفتح عينيك في يوم  
وتلقاه مجسّد أمامك ستفهم شعورها الآن....  
نظرت جانِبها..

وجدته بكتفها ينظر لها بفرح مُبتسم، فزادت ابتسامتها  
إشراقاً، في نفس اللحظة سمعوا أغنية من الدّي جي..  
أنا سرهااااا.....  
أنا أبقى نقطة ضعفهااااا.....  
أنا الحاحه اللي مخبياها عن الناس كلهاااا.....

لمست الكلمات أرواحهم، سرت قشعريرة بجسدها مع إبتسامتها  
التي لا تُفارقها، سأقولها ألف مرة...  
ونعمة الصداقة...  
وأنا اللي من كتر خوفها علي حكايتنا بتخاف تحكيها لحد..  
أنا أول حب في حياتها.. أنا المشاعر.. أنا الحقيقة اللي مش  
بتقولها لحد..

تداخلت أرواحهم داخل الأغنية.. لا يشعرون بمن حولهم،  
ناظران للحلم الذي حلمت به والذي ساندها فيه....  
ما أجمل تلك العلاقة...  
هناك علاقات لا تفهم ماذا تريد هي منك.. لست أنت منها!!  
مُجتمعنا لا يعرف مثل تلك العلاقات، ولا يعترف بها وإن  
وجدت....

أنا سرهااااا...  
أنا أبقي نقطة ضعفهاااا...  
أنا الحاجة اللي مخبياها عن الناس كلهاااا...  
لمحت عربة تركن جانب الطريق، ثم وجدت (نورا) و(علا)  
تنزلان منها تتجهان ناحيتها مع شاب ذو ملامح رجولية وسيمة، يرتدي  
بدلة فخمة ويتجهان نحوها..

وقفوا أمامها وصاحت (نورا) بصوتها ليسمعانها من صوت  
الدِّي جي وهي تُشير علي (سما):  
- دي (سما) اللي كانت عندنا إمبراج..  
نظر لها ذاك الشاب، وابتسم ابتسامة ودود وهز رأسه بمعنى  
(تشرفنا)، وبعينه بريق من تلك الفتاة...  
وأشارت علي الشاب ناظرة ل(سما) وقالت ساخرة:

---

- رَجُلُ الأَعْمَالِ بِنَاعِنَا دَائِمًا مَحْسَسِنَا إِنَّهُ مَش فَاضِي هُوَ الِلي  
أَخْرِنِي مَعْلَش..

ضَحْكُ الْجَمِيعِ، فِي حِينٍ هُوَ نَظَرُ لَهَا لَائِمًا، وَقَضُوا وَقْتًا مَمْتَعًا..  
وَكَأَخْرَجَمِيعٍ مَنَاسِبَاتِنَا نَخْلِدُهَا بِصُورَةٍ ، فَوْقُوا أَمَامَ وَجْهَةِ  
المحل والتقطوا صورة للذكري، واحتفالاً بهذا اليوم..

١ ، ٢ ، ٣.. تجمد الوقت والمكان في إطار مستطيل يجمع بكل  
التفاصيل الذي نرغب في الإفصاح عنها فقط.. كم هي حيلة ذكية !  
نُحَوِّطُ الحقائق المرغوب فيها متجاهلين تماماً العالم الخفي  
ورائه، لذا فلا أقتنع بالصور. فوراء كل صورة تفاصيل وكواليس لو  
عُرِفَتْ لأفسدت جمالها..!  
بعد الافتتاح..

التفتت لهم (سما) قائلة بطريقة طفولية تتصنّعها :

- يَلَا بَقِي.. عَزَمَا كُوا بِالمُنَاسِبَةِ دِي..

جَلَسُوا فِي الكَافِيَةِ عَلَي آخِرِ الشَّارِعِ لِلْمَحَلِّ..

لم تجد (سما) كلام لتشكر به أصدقائها لمساندتها، فقالت  
برقة، وهي تنقل بنظرها بين (ثائر) و (نورا) و (علا) متجاهلة (أمير)،  
وهو ينظر لها بشرود، هذه الفتاة جمعت بين الرقة والمسؤولية وحبها  
واستمتاعها بالحياة!؟ :

- مَش عَارِفَةٌ أَقُولُ كُوا أَيَهُ.. بَسِ إِنْتُوا سَنَدِي.. رَبِنَا يَخْلِكُوا فِي  
حَيَاتِي.. وَيَقْدَرْنِي وَأَكْمَلُ بَقِيَةَ أَحْلَامِي وَإِنْتُوا جَنبِي..

قرر (أمير) أخيراً أن يتكلم، ويقدم نفسه بطريقة رجولية واثقة،  
فأمسك بطرف بدلتة وقال :

- أَنَا صَاحِبُ مَحَلَّاتٍ لِلأَجْهَزَةِ الكَهْرِبَائِيَةِ.. وَلِيَا مَعَارِفَ كَثِيرٍ فِي  
كُلِّ المَجَالَاتِ....

وأكمل بجمله مُقتضبة ليكسب فضولها :

- لَوْ حَضَرْتِكَ إِحْتِجَتِي أَيُّ حَاجَةٍ.. أَنَا مَعَاكِي فِي أَيِّ وَقْتٍ..

وأخرج من جيبه كارت ليعطيه لها....  
اهتز هاتفا نظرت له نظرة سريعة، وهي تمدّ يدها لتأخذ الكارت، توترت ملامحها وجدت نفس الرقم، ثم رفعت نظرها رأت (مريم) تأتي من بعيد إليهم..

لتقول (علا) بنبرة مضحكة :

- أهي الكئيبة وصلت..

يوجد صديقتان دائماً فوق رؤس بعض

فوقفا (ثائر) و(أمير) سلما عليهن وذهبا ليركهن لراحتهن..

وصلت (مريم) مَهرولة، يظهر علي شكلها أنها جاءت مُسرعة دون ترتيب نفسها وجلست، في حين (نورا) تبدّلت ملامحها تماماً كمن انفرد بحاله فأظهر همومه، فقالت (علا) بصوت عالي وهي تصفق بيديها :

- لأ.. بقولكوا أيه بلاش نكد إنهاردة.. كفاية حرام عليكموا..

لترد(سما)وهي تضع الكارت داخل الشنطه :

- أده نكد ليه ؟!.. ده حتي كل واحدة عملت اللي كان نفسها

فيه..!

ورفعت رأسها ونظرت لهن ، ثم ثبتت نظرها أمامها علي (مريم)

قائلة، وهي ترفع يديها الإثنيتين للوراء في أن ليس من شأنها :

- إتجوزتي تاني أهو.. زعلانة ليه بقي..؟!

صمت تaaaام.....!!

ثم نظرت علي يمينها ل(نورا) التي بدّت عليها السمنة من الحمل

والرضاعة.... والإهمال..!! وقالت بهدوء :

- وإنتي متخافيش هيرجع وهيصالحك.. بس كل يومين ثلاثة

هتبقي في نفس المشاكل..

وأكملت مسرعة من أن أحد يقاطعها وهي تلوح بيدها :

- وإوعي تقولي إن كل بيت في مشاكل فعادي بقي.. لأمش

عادي.. كل البيوت فيها مشاكل عشان كله ماشي في النفس الطريق..  
وكله بيقول علي كله ما هوكل بيت في مشاكل !!!

ثم التفتت علي الشمال ل (علا) بنظرة لم تفهمها، وكادت أن  
تتكلم لتقاطعها (علا) بابتسامة، وتضع يدها أمامها بطريقة وهمية  
تدافع عن نفسها :

- وانا ايه هتقولي عليا أيه..

فابتسمت (سما) ابتسامه لو لم تكن (علا) صديقتها لحسبتها  
اشمئزاز، وهي تقول :

- هقولك خليكي في نظر الناس مطلقة.. قبل ما تكوني في  
نظرهم خاينة..!

وأكملت :

- وبعدها هتاخدي لقب مطلقة برضه !

فرمقت (مريم) إثنان يمشان جانهم يشبكان يدهما ببعض  
ويظهر علي وجوههم شيء من الفرح ويرتديان ملابس جميلة، فأشارت  
عليهما ووجهت كلامها ل(سما) في غضب :

- شايفة اللحظة دي.. بتهون بعدها كل حاجة إنك تمشي مع  
جوزك ماسكة إيده..

وضعت فجأة (نورا) يدها علي يد(مريم) وقالت بهدوء مؤلم :

- بيكون لسه ضاربها في البيت قبل ما يتزلوا.. حصلت معايا  
كتير وبنزل بعدها وبيبقي شكلنا كده عادي !!

ضحكت (علا) و(سما) بصوت عال ثم رجعت (سما) بظهرها  
للخلف تمسك هاتفها تتصفح وتفتح أخيراً علي العالم بنجاحها فيما  
كانت تريده، ووضعت صورة لها تجمعها بأصدقائها و(ثائر) و(أمير)  
وتوضع عليها..

تشعر بالسعادة مع ذاك الوجه الضاحك..

\* \* \*

(٧)

في مكان ما....

زينة وأنوار وأغاني تزين شقة ما..

وقف بطوله الفارع ينظر لطرفة بيته صامتاً، يراه زينة وأناس  
 فرحين بمولوده الجديد، يراهم ولا يعرف أهو في حقيقة.. أم ماذا؟!!!  
 كم حلم بناه في هذا البيت معها، كم ركن كان يحيا بروحها..!  
 يراه أناس كثيرين ولكنه يراها هي مكانهم تأتي وتذهب وتجري  
 وتجلس وتقوم وتضحك، يراه خيالات الناس بها هي فقط كلهم هي  
 من بعيد...!!! أصيب بأمراض الهلاوس السمعية والبصرية من يوم  
 فراقها..!

شعر بصدمة تضرب رأسه، أغمض عينيه ليسمع أصواتهم  
 علي أنه حلم، يأمل أن يفتح عينيه يلقاها أمامه.. بلا جدوي!  
 نزل من بيته جلس علي مقعد أسمنتي، ثم رفع رأسه لنافاذة  
 البيت، هناك أفراح تبدو هكذا.. ولكنها مآتم بالنسبة له!  
 يحاول تمالك أعصابه من البكاء حتي ظهرت عروق وجهه  
 ،زهق من كثرة تحليله لما حصل وما أوصلهم لما فيه الآن..!  
 هز رأسه في علامة أنه فهم وعرف ما هي الأسباب!... وحاول  
 بعدها أن يرجع لها.. ولكنها رفضت!  
 هَوَى برأسه للأسفل في ندم، كم مرّه وعد وأخلف.  
 وإن من الرجال إن خَلَفُوا.. فلهم أَعذارهم الخاصة..!!!  
 من أين يأتي الأمان من رجل يخلف وعوده، فكل كلمة كانت  
 تسمعها منه بعد ذلك تهاون بها، وعندما عرف حقيقة حبه لها وحاول  
 رَدّها عن صدق.. كذبتة!

تذكر ذات يوم قالت له :

- أنا عايشه معاك عشان بحبك وبس.. محتاجة منك اهتمام  
مش أكثر.. محتاجة احس إن في راجل في حياتي.. وعمري ما مخاف من  
الطلاق.. أنا مستحمله كل ده عشان بحبك وبس..

دمعت عينه من وقع صدق كلامها علي قلبه وأنه خسرها، يا  
ليتها شعرت بوجودها في قلبي قبل وجودها في بيتي.... كان يظن أنه  
يحبها بالقدر الكافي في الزواج.. ولكنه أدرك عشقها في الفراق!  
لأول مرة في حياته يبكي، تذكرده عليها بكل برود :

- أنا مشغول في الشغل عشان أكلنا وشربنا.. وبعدين ما كل  
أصحابي كده وستاتهم بيستحملوا..  
تفكيرهم محدود حقاً..!

هي لا تطلب الكثير، طلبت فقط ولو دقيقة اطمئنان واحدة  
في وسط يومه، عانت الإهمال منه بشئ الطرق.. كرهت نفسها معه..  
ذبلت مشاعرها تجاهه في آخر فترة بينهم، وهو لا يدري، يعيش فقط  
بمبدأ اليوم بيومه (أكل وشرب)..!

تذكر صمتها علي كلامه حينذاك، فعلاً ليس من طبعها الصمت  
وعدم اللوم والعتاب، كيف لم ألاحظ وقتها التغير عليها..!  
عندما لا نلوم ولا نعاتب فهذا أكبر دليل علي عدم وفائكم لنا..  
فهذا يعني أن الكلام أعيد مرارا وتكرار حتي شبعنا منه وأصبح كرامة  
الآن وليس عتاب !!

وليس من العدل أبداً أن نقارن علاقتنا بعلاقات أخري، فللكل  
تجربة عالمها الخاص وأسرارها، وهناك تفاصيل خفية لا تُراه العامة  
ولكن يشعرون بها ويتصرفون من خلالها ويأخذون عليها قرارات  
مصيرية.. فكيف نقارن بيننا وبينهم وهم من الأساس لا يعرفون  
خبايهم..! هذا للأسف حال الزواج.. ولا أقصد الحب !!  
رفع رأسه ثانية بألم كاذب أن يخرج من بين ضلوعه، وهو يضع

يده علي صدره يريد أن يصرخ، ارتعش فمه وهو يغمض عينيه يترك  
دموعه.. نسي تماماً تواجدته في شارع..

نراه أناس لا نعلم ما بهم.. أحياناً نخاف منهم ولا نفهم أن  
الصراخ يدوي بأعضائهم فيرتجفون.. دعوهم هكذا.. إما أن تبتسموا  
لهم.. أو تتركوهم بسلام..!

لا تعلمون كم موقف صدم بهم.. كم ألم اعتصر قلوبهم..  
ليس الأمراض فقط تقتل.. فهناك آلاف الأوجاع تدمر حياتنا  
وتفزع منا ولا أحد يدري.. فقط يرون وجوه مُشوَّهه بالهموم.. وعينان  
لا تريدان أن تستيقظا يوماً..!

أحس بأيدي تضع علي كتفه وأصوات ضحك تخترق سمعه،  
يلتفت ليري أصحابه فيقول أحدهم :

- أيه يا أبو آدم..

والآخر يقول :

- أبو العريس.. قاعد كده ليه..

ويري أمامه أناس كثيرين ينزلون من بيته وتتجه نحوه امرأة  
كبيرة في السن وتقول له وهي تطبط عليه :

- يتربّي في عزك يا ضنايا.. ربنا عوّضك خير أهو يا بني !

فتح فمه قليلاً في محاولة لتبريد جسده من الاشتعال..!

أترونني هكذا سعيداً..!، أما لو كنت حزيناً!! حقاً تحفظون ولا  
تفهمون.. لو تعلمون ما بداخلي.. لهربتم من واقعي..!

يسمع ضحكات أصحابه كخيال من بعيد في عقله، هو يقوق  
داخل نفسه الآن، ظاهرياً فقط يجلس معهم! سمع أحدهم يقول  
للآخر:

- يا بني هما كلهم كده.. كبر دماغك وقول حاضر واعمل بعد

كده اللي انت عايزه..!

ليرد عليه الآخر قائلا :

- منا بعمل كده.. بس الواحد زهق عايزين تجديد بقي العيشة  
بقيت ممله..

فوقف في برود وهو يقول دون النظر لهما :

- حافظوا عليهم.. مش هتعرفوا قيمتهم غير لما تسبوهم.. مش  
هتحمسوا بالوجع غير لما تعيشوا في حياة المقارنة بين الأولي والتانيه..  
وأكمل بعد ضحكة ساخرة قصيرة :

- ويا سلام بقي لو طلعت الأولي كانت نعمة في إيديك وانت  
استهونت بيها وقولت مش هتقدر تقف علي رجلها من غيري.. لا  
يقدرها..! ولا تقولوا ما هما الستات والبنيات كتير.. هما كتير آه.. بس  
فيهن إستثناءات..! وفي الأغلب مش هتشوفوا ولا تصدقوا الإستثناءات  
دي إلا بعد الفراق..! تصبخوا علي خير..

نظرا لبعضهما البعض في عدم فهم لما قاله، في حين هو صعد  
لبيته ودخل غرفته ثم دخل البلكونه وهو مازال يسمع صراخ ابنه....  
وأمه !

وقف في هدوء يسند راحته علي السور وهو يبتسم من غدر  
الزمن، كانت تقف جانبه في يوم من الأيام فالتفت وراءه يتخيلها معه  
تأتي من خلفه فابتسم أكثر، ثم أدخل يده في جيبه وأمسك بالهاتف ،  
بعد ما قرر أنه لن يراقبها ثانية علي أي موقع لها.. ولكنه إنهمز منها..  
فتحها وتصفح به ليراه صوره لها الآن مع رجلين وفتاتان ، لا يستطيع  
الرؤية بوضوح.. خذلته عيناه الباكية فور رؤيته لها وهي سعيدة  
بدونه، شعر بضغط الدم يصل لأذنيه ، فلا يسمع مُنادات زوجته  
له، شعر بلمسات عل ظهره فانتفض والتفت صارخا في وجهها :

- عاااايزة آيه....

ولم ينتظر ردها، اتجه راكضا نحو باب الشقة ونزل مهرولا

وأسرع في مشيه تحت مطر هادئ يداعبه في طريقه.. يمشي عكس  
حياتي يرجع للوراء..! لاجدوي من مشيه أوحى هرولتة..!  
مشي كثيراً ولا يُرهق حتى وصل لمقصده ووقف أمامه بمسافة  
قصيرة يتأمله، رفع نظره للأسم، تذكر فرحة وجهها وهي تقول له :  
- نفسي أسمى بنتنا روليتا....

أبتسم لخياله.. ثم لاحظ اللون اللبني الذي يشبهها مسيطر علي  
الوجهة

يدل علي السلام والصفاء الروحي لقلبيها والجمال الأنهائي لها  
، اتسعت ابتسامته، يشعر أنه يقف أمام قطعه من روحها ، يكفي أنه  
ذوقها، كانت تقف هنا منذ ساعات قليلة، يشعر بنفْسها..

مسك هاتفه مرة أخرى وأخرج الصورة تأملها ،لفت إنتباهه  
فتاة بشعر قصير أحمر ورجل ببدلة سوداء فخمة ينظر لها نظرة  
إخترقت قلبه.. اتسعت عيناه ليراها تضحك سعيدة ، تحجر وجهه،  
إشتدَّ المطر ولا يشعر ببرودة فقد أثلج قلبه، فقد أعصابه وهوي بركبته  
علي الأرض وحي ظهره ورأسه في وسع وفضي من حوله رهيب، يسمع  
صوت المطر بقوة.. وصمت!.. يحاول للمرة الألف أن يوهم نفسه أن  
هذه آخر مرة سيفكر فيها.. وأن المطر يغسل عقله وروحه..!

لم يلبث لحظة.. ورفع رأسه فجاء لينظر علي باب المحل ليلقاه  
مغلق الباب الزجاجي فقط.. فرح قلبه ورقص علم أنها ستأتي هنا  
ثانية..

فأخذ نفسه في راحة وأخرج من جيبه علبة سجائره ببرود  
تام ,, يعلم جيداً بمجرد رؤيتها له سيخفق قلبها حباً لي!.أخذ بنفس  
سجارتها باستمتاع وبأنفاس عميقة..!  
وشغل أغنية عشقها لعشقها لها..

Stranded ,reaching out

\* \* \*

(٨)

- في الكافية....

تصفحت (سما) مواقعها بكل فرح ونظرت في ساعتها وجدتها  
١١ مساءً فالتفتت لهم قائلة :

- الساعة ١١.. مش عايزين تروحوا ولا أية؟!!

لا ينطقن.. تثقلهم الهموم.. من عاش ليرضي المجتمع لن يرضي  
هو.. ولا هم..!

فقامت (سما) بخفة الريشة، الإنسان الذي يسمع ويتجه نحو  
رغباته هو وما يريد ويحققه رغم أنف الكارهين، يصبح محلّق هكذا!  
وقفت بعدها (مريم) تعدل ملابسها المهرولة، و(نورا)  
ببدانتها، و(علا) ترفع خصلتها الحمراء وهي تقوم بملابسها الضيقة..!  
ذهبن للسيارة في صمت، ركبت (نورا) في كرسي السائق وجانبها  
(سما) وخلفها (مريم) وجانبها (علا)..  
وقفت العربة في مكان بعيد عن المحل لتواجد برك كثيرة من  
المطر هناك!

نزلت (سما) لتغلق بابها، مشت بارتعاش جسدها من  
البرودة، تدقق بنظرها في الطريق من الظلمة، شعرت وهي تسير أن  
المشهد بالكامل معاد من قبل، وقبل اقترابها من المحل سمعت أغاني  
بصدي صوت الفراغ..

وما زالت لغة الصمت تتحدث وتملأ الفراغ في العربة، نظرت  
(مريم) في ساعتها وهي لا ترغب في معرفة الوقت، وتحاول (نورا) ضبط  
ملابسها وهي ما زالت لم تقتنع أن الخطأ ليس بالمظهر الخارجي بعد!، في

حين أن (علا) صامتة لا تتحرك، تضع يدها علي خدها ناظرة من النافذة.. تنتظر..!!

لا يجدون كلاماً في وقت لم تصلح الكلمات من معني، يعرفن جيداً ما طبيعة الحوار الذي سيدور إذا تحدثن، فاكتفين من سماع ما كانوا يظنون يوماً أنه لن يحدث !  
كلّ الآن يحصد ثمار اختياراته .

هذا الهدوء لا يبشر بالخير.. فقد اقتربت النهاية.. النهايات الذي نظل نهرب منها نخاف لقيائها هي بالأساس الدليل الوحيد الذي يرشدنا إن كان هذا الطريق صحيح أم لا.. صفقة مرهقة حقاً.. وما فائدة إخبارنا بأن الطريق كان خاطئ في أواخره إلا الندم والحسرة..  
وياليت !

شهور وسنين مضت من عمرنا بلا رجعة لنكتشف أننا سلطنا طريقاً مخالفاً لما كنا نريد، فما بال من كان يعلم أنه خاطئ منذ أولي لحظات قراره ولكنه أكمل فقط لأنه رأي الطريق ممثلاً...! ولا يكتفي بهذه الطريقة من التفكير.. بل ظنوا إن من كثرة ارتياد الطريق أن من وقع في أواخره فليلقي كثيرين جانبه.. لن يعرفوا أن من أوقعوه في أوائله، لن يسموا عليه أواخره !

فتحت (علا) باب السيارة ونزلت لتقف في جو مظلم، شعروا الآن من كلام (سما) منذ قليل أنهم علي الحافة، سقطوا في قاع الوحل، لا يتجرؤون أن ينظروا خلفهم فيصطدموا بما فعلوا بأنفسهم، ولا يستطيعون أيضاً النظر أمامهم من الظلام..

ضحكت (علا) بصوت عالي يردد الصدي صوتها.. فتضحك أكثر، شعرت بالمطريداعب جسدها وهي سائدة علي العربية بظهرها تتمايل من الضحك حتي بكت، فصرخت بأعلي صوتها..

هناك وجع في القلب لا يتحمل السكوت أكثر من ذلك.. فنفجر..  
شعرت بقلبيها يتمزق وهي ما زالت تحيا، والمثير للضحك أنها ولا بد أن  
تُكمل بهذه العاهة في قلبها!

فالتفتت لهما وانحنت لتنظر من النافذة وهي تضرب بيديها  
ورجليها في العربة صارخة..

ثم سكتت فجاءة، وهما مازالا لا يعيرونها أي اهتمام، فاعتدلت  
وهما يسمعان صوت ضحكاتهما متقطعة ساخرة، تتبعوها بنظرات  
وهي تلف وتدور حول العربة بطريقة متراقصة لا تستطيع التوازن بين  
حزنها وبين تعالي قدمها بالكعب المزيف..!

I call your name but you're not around

I say your name but you're not around

وقفت (سما) مكانها.. إرتعبت من هناك.. بدأت تخطو خطوات  
بحذر وعيناها تدور بالمكان كله.. وصلت أمام المحل بفترات بعيدة،  
لترى إضاءة القمر تظهر جسد مُنحني أمام المحل مباشرة خفق قلبها  
بالفعل.. من الرعب، مسحت مياه المطر من عاي وجهها لتوضيح  
الرؤية وتميل برأسها لتعرف من هو..!

I need ya.. I need ya

I need you right now

وقفت تائهة تستجمع الرؤية بالذاكرة بالواقع بالماضي....

فهمت!!

وتذكرت رؤيتها التي رأتها منذ فترة.. ها هي تحققت وعلمت من  
هو الرجل المنحني..! وما هي نتائج من دخلوا الأبواب الثلاث خلفها..!  
ابتسمت، واتسع المكان بها فجاءة.. شعرت أن المكان أصبح  
أكثر اتساعاً من أنها تركض ولا يلحقها.. تجمّد عقلها بلا تفكير.. فهمما  
حدث يظل أول رجل في حياتنا له مكانه الخاص!

اشتد المطر أكثر.. ابتل جسديهما بالكامل.. وتراه أيضاً مازال  
يُدخن سيجارته.. أما زلت بارداً..!  
رأته يرفع رأسه بشيء من السكر العاطفي.. في نشوة لم يدُقها  
مع زوجته حتي الآن.. لمجرد وقوفه فقط في مكان حامٍ فيه روحها..  
فماذا لو علم بالفعل أنها وراءه!

ثم رأته يهتز بجسده قليلاً مع الأغنية في شعور بالنَّصر.. فهمت  
أنه يعلم ما ستشعر به عند رؤيته..! فحقق قلبها في ضيق.. لن يتغير!  
يعمل المستحيل لرضاها وعندما ترضي يخلع ثيابه لتراه غروره!

So , don't let me, don't let me, don't let me down

Don't let me down

فتراقصت روحها.. بدأت تضرب بأرجلها بخفه بخلخالها علي  
الأرض المبتلة بتراقص عنيدة وهي تحرك شفيتها مع الأغنية

I think Im losing my mind now

Its in my head ,darling I hope

That you ll be here ,when I need you the most

وبالرغم من اشتداد المطر إلا أن (علا) أشعلت سيجارتها ببرود  
في كمية تناقضات لأفعالها وتحولات شعورها من لحظة لأخري.. إنها  
لحظات الانهيار.. حدث يرفعك ومواقف تتذكرها تهبدك علي الأرض..  
كلمة تفرحك وآلاف من الجمل تدور برأسك تحزنك.. لا تدري بماذا  
عليك أن تشعر.. هي اضطرابات فقط.. فلا حرج علينا في مثل هذه  
الأوقات..!

فرفعت (علا) أصابعها عالية في سبة للحياة، لترتعد السماء  
وترد عليها السبة لتسحق ما تبقي من طريقها من ندم..! ففتحت  
السماء نوراً بسيطاً لترتها ما كانت تخفيه عنها مراعاة لشعورها..  
ولكن لا هناك رحمة بعد الآن إذن!

فظهر برق للمح البصر لتراه (سما) أمامها من بعيد، بمسافة ليست بالقصيرة تراها تتراقص فرحة، فضيقت عينها واندفعت للأمام قليلاً لتوضيح رؤيتها فانطفئ النور واشتدت البرودة علي جسدها أكثر عقاباً لها، فهمت بسبة أخري للحظ والقدر وهي تضحك باستخفاف، فأنزل بعقلها عقاباً آخر فذكرها بكل فرصة أتت لها يوماً لتغير مسار حياتها ولكنها رفضت، فضلت تتذكر أحداث كثيرة فأمسكت برأسها وصرخت ثانية....

أنتم أحرار منذ البداية ولكنكم لا تستطيعون أن تقولوا أنكم أخطئتم الاختيار فأيضاً كما تعودتم تختصرون بالطريق الأسهل وتبادلون التهم بمن هم من الأساس مسخرون لخدمتكم وتدعيمكم في اتخاذ قراراتكم.. وليس هم من يختارون لكم.. ألا وهو القدر والنصيب والحظ..!

حاولت أن تذهب ل (سما) فتقدمت للأمام.. المفترض أنه للأمام !! فخطت بكعها الطويل جداً في الظلام.. الآن تحاولين الالتحاق بالطريق المظلم بأمان.. أما قلنا لك منذ البداية.. فلم تحاولين الوصول لها بالرغم من صعوبة الجو والظروف، تقدمت بكل اطمئنان.. علمت أن آخر هذا الطريق سعادة فمشيت نصف الطريق علي هذا الأساس..

فتحت السماء نوراً آخر لتختبرها وتُرهبها مصاعب كثيرة لبلوغ هذه المكانة.. فرأت بركة كبيرة جداً ومن الواضح عليها أنها عميقة من مياه المطر.. فعبست بوجهها اندهاشاً.. فكيف وصلت (سما) إلي هناك فتلفتت حولها باستمرار السماء من إعطاء الضوء لها لتجعلها تتأكد بنفسها أن ليس هناك أي مجال للعبور حتي علي جانبي البركة لا يوجد مكان للوصول للضفة الأخرى.. ومع ذلك ما زالت تراها

هناك، فضربت برجليها صفع الماء في غضب وهذا رداً واقعياً لمن يقول أنه حظ ونصيب!.. فلا أحد يعلم وحتى أقرب الناس من أصدقائها عن كم المعاناة والمحاولات الفاشلة والغرق في ظلمة القاع والظروف التي بلغتهما (سما)..

تقف حائرة غاضبة لا تتحمل حتي تفكير ولو للحظات قليلة أو التخيل كيف عبرت.. أهي أخذتها سباحة أم طيران أم أنها غرقت وأحد نجاها أم قفزت عدة قفزات أم هي بنت جسراً لتعبر ولكن كيف بنته وهي وحدها بكل هذه المسافة!!!

لا يُعقل هذا.. كادت الجنون وهي تفكر فقط كيف وصلت لهذا المكان من النجاح والسعادة.. تفكير فقط.. فما بال من فعل هذا بالفعل.. وأنتم في النهاية تجلسون بكل أريحية للهروب فقط من جلد ذاتكم علي عدمها من الوصول لهذه المكانة تقولون: أصل ده حظ!! فأدركت حينها وشعرت بكم الألم الذي كانت تُخفيه (سما) عنهم.. كانت تعتزّ لهم وتعتزل كل من حولها لأنها كانت تستكفي من الوجد والألم والخيبات.. كانت تحارب بالفعل مع نفسها والظروف محاربة حقيقية وتُلخص كل هذا بابتسامات باردة توزّعها علي كل من كان يحيطها..

تحكي لمن؟! ومعظم الناس يسلكون طريق أجدادهم، يحفظونه جيداً ويسيرون فيه دون تفكير.. فكيف تحكي لهم عن طريقاً أخرى وهي تلقي صعوبة في شرح أسباب سلوكها من الأساس هذا الطريق.. فكيف يفهمون ما بداخله!!

فنادت عليها بصوت عالي (سما!!!).. لا جدوي!

فاشدد المطر والبرد والرعد أكثر وأكثر، خلعت حذاءها محاولة أن تجرّب وتضع رجليها علي أول البركة ولكنها غاصت مقدمة رجليها

فشهقت وانتفضت وهي ترجع للخلف في سرعة باستسلام مع أول تجربة لها..

ترونها مجرد النظر بركة بسيطة.. وهي أشبه بالمحيط !!

التفتت ورائها لكي ترجع مما أنت.. لتلقي فضاء.. لا يوجد أحد ولا عربة ولا أصدقاء.. إنها النهايات المختلفة للطرق المختلفة.. أنتم لا تجتمعون في مكان واحد فقط ترون بعضكم من بعيد..

نعم ! اجتمعتم من قبل وأنتم تسرون.. لكن النهاية تأخذكم إلي مفترق الطرق.. كل الآن يحصد ثماره اختياراته.. اقتربت النهاية.. ! ورفعت (سما) يدها في استمتاع وكأنها لا تفرح بالافتتاح كهذه اللحظة.. تلك العنيدة !.

لتعلمه أنها سعيدة من دونه وأنه كان فترة في حياتها لتتعلم منها فقط من هم الرجال من عدمهم ! إذا كان العناد لا يسمح بالسعادة في مكان واسع.. فكيف يجمعهما في بيت واحد !

فخفض رأسه للأسفل ثانية للحظات قليلة ثم رفعها للقمر.. ! يراه جماله.. يراه في وسط ظلمات الكون حوله يضيء جزء من الأرض.. هكذا هي بالنسبة لحياته.. لا يستطيع لمسه ولا القرب منه.. ولكنها ستظل روحه تضيء.. !

I need you right now

ظل ناظرًا للقمر في اشتياق قربه.. وهي تتراقص خلفه فرحاً من

بعده!

لا تستطيع كل علاقات الحب الزواج.. أو إكماله !

\* \* \*

(٩)

رمقت ساعتها، رجعت للخلف، الساعة السابعة مساءً..  
نظرت إليه قائلة:

- الساعة سبعة.. يلا عشان الحق الميعاد..  
صمت لحظة تفكير وقال وهو يُشير لها :  
- قومي يلا بينا..

نزلا من الشالية في عجلة. وركبا العربة.. ظلا صامتين وهي تقود العربة وهو جالس جوارها، وكأتهما في عالمين مختلفين، ما أصعب القرارات المصيرية تُرهقنا بالفعل لمن يحسب نتائجها فيما بعد، وبالأخص عندما تأتي بعد وجع.. أما من يأخذها علي تظاهرتُها الأولي حتماً سيفرح بها..  
نظر لها نظرة سريعة ثم عادَ بنظره للطريق السريع، فابتسم ثم قال فجاءه:  
- مالك..

لم تسمعه، نظرتُها للطريق حادّه بلا أي شعور، الذاكرة تقوم بعملها علي أكمل وجه في هذه اللحظات، رغم محاولاتِها عدم تذكر أي شيء، لكن مقاومتها أحياناً تفصل قليلاً فتتسحب الذكريات لتعميها عن فرحتها بالقرار التي ستأخذها بعد قليل، تسمع أصوات داخل عقلها تقول  
«يارتني كنت قبلت الشخص ده من زمان من قبل ما اتجوز و أطلق، كان يبقي أول فرحتي»...

دمعت عيناها وقالت بصوت عال في عصبية، ترد علي عقلها :  
- مَنَا لو مكنتش إتجوزت وإطلقت مكنتش هشتغل ولا هغيّر

طريقة تفكيري.. كنت برضو هفضل قاعدة زي بنات كتير مستنيه العريس..

وأكملت بصوت أشبه بالصراخ:

- هو أصلاً حب الشخصية اللي أنا طلعت بيها من طلاقى..

والتفت له تُشير علي عقلها وقالت باكية :

- انت فاهم أنا بتكلم في إيه... مفيش حاجه إسمها يارتني..

لكن في حاجه اسمها قررت..

قررت أطلق عشان مكنتش مبسوطه.. قررت أشتغل عشان

حبّيت نفسي في الشغل..

وأكملت وهي تهمس بصوتها تميل عليه :

- قررت إن متكسرش..

أغمض عينيه من عصبيتها، وأخذ نفسه لهدأ وقال دون أن

ينظر لها :

- إفضلي تفكير شوية..

فصمت ولكنها لم تهدأ يشعر بها، يسمع بكاءها الصامت،

دمعت عيناه فالتفت لينظر من النافذة يسرح بخياله في وضع

صديقه، لا يريد أن يضعف أمامها فهي تحتاج في هذا الوقت لشخص

يسندها، ثم التفت لها ثانيه وقال بنبرة لا تعبر عن شيء :

- انتي عايزة إيه بالظبط..

لا تفهم ما يقصد، ولا يتمالك نفسه من الغضب فهبّ صائحا

فيها:

- هفضل لغاية إمتي أفكرك وأقولك إنك عملي كل حاجة

انت عايزاها..

وأكمل وهو يلوح بيديه يمينا ويسارا :

- قولتي خايفه أتزقت وأكبر من غير ما استمتع بحياتي.. وادفن

جوّا بيت مع راجل مش حاسه بوجوده أصلاً..

سمع همسها تردّ عليه :

- أه فعلاً إحساس إن العمر مبيتعدش بيخوفني أوي..

أكمل بعصبيته وكأنه لم يسمعها :

- وإتزفتي وعملي كده وفي الآخر بنا رزقك براجل مُحترم زي ما

اتمنتيه بالضبط.. راجل أدّ كلامه معاكي وببُوفي بوعوده ليكي.. وكمان

مش بيحيرك في كلامه..

ثم أكمل بعد أن التقط أنفاسه :

- عايزة إيه تاني إيه الصعب في الاختيار.... جننتي أمي..

كأدت أن تبتسم من انفعاله، شعرت بالفعل أنها تزيد الموضوع

عن حدّه. تَنَحَّنت في ترقّب منه ورمقته سريعاً... ثم نظرت للهااتف

الذي وضعته علي وضع صامت لتلقّي اسم (نورا)، تذكرت مقابلتها

بزوجها بعد أسبوع من افتتاح محلّها.....

أيوه يافندم إتفضل.. لاحظت أنها تعرف هذا الراجل.. لم تلبث

حتي هو قدّم نفسه:

- أنا محمود جوز(نورا)..

قالت بترحاب :

- أهلاً وسهلاً.. إزيك..

وأشارت له علي المقعد :

- إتفضل....

جلس الرجل وهو يقول بوجه عابس:

- مش هاخذ من وقتك كتير.. أنا جاي بس أقولك ومعلش

إتأخرت مني.. إن كل شئ قسمه ونصيب وإن ربنا يعوّضك بحد أحسن

من طليقتك و...

قاطعته :

- يا ريت يا أستاذ محمود تخش في الموضوع علي طول لأن

موضوع طلاقي ده مفروغ منه وانت كراجل مش هتفهم الكلام اللي ممكن أرد بيه علي الكلام اللي قولته.. لإنكو ببساطة شايفين أي واحدة مطلقة مكسورة.... فالكلام فيه مالهوش لازمة....  
 زفر (محمود) بضيق، ثم قال لها ناظراً في شبه أمر:  
 - بصي حاولي تبعدي عن (نورا) لو بتحبها بجد..  
 تنحنحت (سما) محاولة مسك لسانها عن ما خَطَر في عقلها من  
 ..رد

وردت عليه بعد تفكير بأسلوب مَرَح :

- تماااام.... حضرتك ذكرت لو بحبها!!!

وأكملت وهي تجلس علي مقعد أمامه:

- وعشان بحبها هقولك حكاية صغيرة.... مرة واحد إتجوز وعشان يحكم بيته ومراته كان بيحكموهم بالزعيق والأمر والنهي والضرب والخوف.. كلمته بتسمع من أكبر حد لأصغر حد في البيت ووجوده ليه احترام وكان واخذ وضع في نفسه أوي كده... وعمل اللي عايزه فعلاً البيت بقي ماشي علي دماغه وحكم بيته....  
 وأكملت وهي تميل للأمام قليلاً بصوت هادئ:

- وجه في يوم جتلُه جلطة.... متعرفش بقي من العصبية اللي كان عملها في البيت ولا إيه.. بس هي جتلُه... ووقع.... قاعد فترة تعبان وبعد كده رَقَد في السرير...

توتر في جلسته وهي تُكمل عاقدة حاجبها :

- الكل نَقَرَمَنه.... عارف المشكله في إيه.. إن الأب كان مفكر إن مهما عمل في عياله ومراته هيفضلوا يحبوه حتي لو كان شديد عليهم كان مصدق الكلام ده أوي.. دماغه مَكْنَتش موصلاًه إن أهل بيته ممكن يكرهوه من معاملته.... بس الحقيقة بقي اللي عرفها بعد ما وقع.. إنهم كانوا بيسمعوا كلامه مش احترام ولا حب.... كان خووف... وأول ما لقف فرصة قَلَبُوا البيت كلّه...

اختار حياة ضعفك في قوتك !

وصممت للحظات، ثم قالت :

- أحكم بيتك بالحب والاحترام.. إتجاوز وإتناقش معاهم مش عيب ولا حرام.... بالعكس انت كده بتقريهم منك وبتقرب منهم عشان متندمش بعد كده في لحظة ضعف ليك.... وقوة لهم....

وأكملت وتدمع عينها لسبب تعرفه :

- صاحب مراتك وبنتك خليك ساندهم بجد.. لو الدنيا كلها قفلت في وشهم يلاقوا ضهرك.. مش يهربوا منك للدنيا كلها....

وقالت بنبرة لتنهى كلامها، في حين هو صدم من كلامها وجراتها :

- لو انت فعلاً عملت كده عمرك ما هتيجي تطلب مني إن أبعد عنها لإنك هتبقى واثق وعارف إنك ضهرها وإنك الحضن اللي بتستخبي فيه بأمان من الدنيا كلها.. لكن تيجي تطلب إن أبعد وانت أصلاً مش سندها انت كده بتلعب نفس لعبة الأب اللي حكيتلك عنه.... بتقفل كل الأبواب في وشها عشان متلقيش غير بابك.. بس وهي مضطرة....!  
فقال لها:

- طب وهي عايشه معايا ليه لو أنا مش سندها!؟

ردت بسرعة بدون تفكير:

- عشان خايقة.. خايقة من الناس والمجتمع.. معندهاش الجرة إنها تاخذ الخطوة دي.. وعشان دايم بتفكر في بنتها إزاي هتتربي لو انفصلتوا.. اللي مش عارفة تستوعبه إن في أطفال بيتربوا أحسن لو الأب والأم انفصلوا....

ممك حضرتك تقولي أية فايده إن طفل يشوف أبوه وأمه بيضربو بعض ! أو كل يوم بيتخانقوا ومفيش بينهم أي احترام إلا إنه هيطلع طفل مشوّه نفسياً وإجتماعياً....

مسكت الهاتف وردت علي (نورا):

- إيه يا صحتي..

قالت (نورا) بصوت فرح :

- إيه يا صحبتي لسه مخلصيتيش مشوارك ؟  
ردت :

- لأ جايه في الطريق هرّوح أظبط وأنزل أقابل أخوكي.... انتي

فين؟

أجابتها (نورا) :

- محمود بقاله فترة ربنا هاديه عليّا فخارجين مع بعض..

ابتسمت (سما) في راحه أنه غير معاملته لها، وسألته:

- أيه أخبار علا دلوقتي؟!

ردت :

- بتصل بيها مبتردش.. عايزين نخلص مشاورينا دي ونروحلها..

هزت رأسها في خيبة وهي تغلق الخط،

ثم قال لها (نائر) :

- بستغرب أوي من اللي بيروحو المحاكم يرفعوا علي بعض

قضايا بعد ما كانوا عايشين مع بعض في بيت واحد..

ردت (سما) باستياء وهي تنظر للطريق :

- طيب ما عشان يببقي في طرف واكل حق الثاني.. فبيضطروا

يلجنو للمحاكم..

ليبتسم ساخرا من كلامها وهو يرد :

- هاتيلي واحدة دخلت المحكمة وعرفت تاخذ حاجة هي

عايزاها.. كلها كذب وتلفيق ونصب.. وكل طرف بيقدم مستندات ضد

بعض.. ويضيعوا سنين من عمرهم في تأجيلات المحاكم !

قالت (سما) متسائلة :

- يعني قصدك إن الراجل يطلق ويرمي عياله وميصرفش

عليهم وكمان الست تتنازل عن كل حقوقها عشان بس.. ميدخلوش

محاكم؟!!

- زفر من عدم فهمها ورد عليها :
- أكيد مش قصدي كده.. وهما ليه ميتفقوش قبل الطلاق  
علي كل حاجة..!
- فاجأته بردها بكل سهولة:
- أنت مش عايش معنا ولا أيه!.. إحنا للأسف معندناش ثقافة  
الاحترام عند الانفصال.. انفصال يعني فضايح ومشاكل ومحاكم!  
ليقول (ثائر) بأكثر سهولة منها :
- هي أخلاقيات علي فكرة.. إن يكون في احترام أصلا في  
علاقتهم.. أو علي الأقل في شخصيتهم..  
وسكتوا لفترة،
- ثم قال ناظرا لها بفضول :
- واستفادت علا إيه بقي من المحاكم؟!  
قالت ما يؤكد كلامه :
- ولا حاجة.. كله عند في عند مش أكثر.. كانت فعلا داخلة  
المحكمة وهي عارفة وشافت قصاها حالات استفادتش بحاجة..  
التف لها ببطاء رافعاً حاجبه وهو يقول :
- دخلت عشان تذلو..!
- رأى وجهها جامد يرتسم عليه ابتسامه من مكر النساء تحاول  
إخفائها، بماذا ترد عليه ! ليكمل بنفس نبرته:
- دخلت تذل أبو ابنها ! دخلت تكتب باقي اسم ابنها وفي نيتها إنها  
تحبسه !
- وسكت...!
- تجمدت عيناه أمامه علي الطريق السريع، كأنما تذكر شيء ما  
وأكمل قائلاً:
- مش متخيله انتي إحساس إن أقرب حد كان ليكي يحاول  
يحبسك.. أو يمنعك من إنك تشوفي ابنك..!

التفتت له وجدته يمسح عيناه ويقول مغيراً الحديث :  
 - المهم.. موضوع علا وصل لإيه في الآخر....  
 = وصل إنها اطلقت بس بعد فضيحة طبعاً.. وطليقها أخذ منها  
 ابنها بعد مشاكل ومحاكم لرب السما....

قالتها ( سما ) بأسلوب لا مبالي وكأنها سئمت من نصحتها مراراً،  
 فكانت لا تفاجئ بنهايتها كما هي لم تتفاجئ أيضاً!!  
 قال (ثائر) وهو ما زال شاردأ في الطريق بصوت يأتي من ذكرياته:  
 - خدي بالك شكلياً إنها هي بس اللي الغلطانة.. لكن الحقيقة  
 أعمق من كده بكتير.. نفس السبب اللي خلاها تخون هو نفس السبب  
 اللي خلاه علاقتها في الجواز تستمر كل الفترة دي..  
 أو بالأدق إنها تنتهي بالطريقة دي!

حاولت (سما) فهم كلامه، ليكمل هو ويرسم علي وجهها بسمة  
 جانبيه :

- إوعي تفتكري إن الراجل مش بيحس بالإختلاف إن مراته  
 فيها حاجة غريبة وهي بتخونه.. هو مش عبيط.. هو عارف إن في حاجة  
 متغيرة بس مش عارف هي أيه.. بيشك أحياناً إن التغير ده من الروتين  
 بنهم والزهد في العلاقة.. أو بيكون مستتي يعرف هو في أيه بالضبط..  
 بس الجوع عموماً بنهم في البيت بيبقي مش طبيعي وده مبيكونش في يوم  
 وليلة.. لا.. ده علي مدار سنين وتراكمات كتير للمشاكل....  
 وأخذ نفسه ليكمل:

- المهم في الآخر والي عايز أوصلهولك إن الراجل زيه بالضبط  
 مش مرتاح في علاقة الجواز دي ونفسه أصلاً ياخذ قرار الانفصال أكثر  
 منها والله..!  
 ردت عليه بهكم :

- يا بني الراجل مفيش حاجة بتمنعه مفيش عين عليه عشان  
ميخدش قرارزي ده لو هو عايزه..

ليزيد من ابتسامته الجانية من بلاهتها، ويبدأ كلامه بهمهمه  
ضاحكة :

- يابنتي الراجل ممسوك من رقبتة وفي ثانية ممكن يتخنق  
مادياً.. خلي راجل كده يجرؤ ويقعد مع مراته ويقولها بعد محاولات  
كثيرة لإصلاح علاقتهم وفشلوا إنهم ينفصلوا بهدوء.. هي حتي لو قاتله  
ماشي بعد موشح وولولة طبعاً شوفي بقي وهي بتنتف ريشه من قايمه  
لمؤخر لنفقة مش عارفة أيه و.. مبتسهوش إلا وهو علي الحديدية  
وممكن تحبسو كمان

فبيريح دماغه ويستمر في العلاقة علي وضعها زي ماهي كده..  
فتخليلي انتي بقي إثنين عايشين مع بعض عشان بس ظروف  
إنفصالهم مش هتعجب الناس من طرف و هتندل وتفلس الطرف  
التاني....

فبيستمروا وكل واحد في وادي.. وإنتي تقفي تستغربي كده  
وتقولي هو إزاي الراجل ده مش حاسس إن مراته بتخونو.. هو أصلاً  
مش شايفها غير بس لما بيخبط فيها وهي معدية في الصالة بالأكل  
للعيال وهو نازل القهوة أو شغله التاني.... بهربوا من بعض..  
أو من الحقيقة.. !!

وزفربقوة لما أفرغ من طاقة وهي تهز برأسها موافقة لما قاله،  
ليقول بتعجب:

- بس عشان إحنا إتعودنا دايماً نبص لكل الأمور من ناحية  
الست بس.. مأخدناش بالننا من الحقيقة دي.. !

\* \* \*

(١٠)

تعددت مقابلات (سما) و(أمير) كثيراً...  
كانت تريد حقاً شخص ناجح في حياته.. لتعرف كيف تدير أمور  
مشروعها..

عندما تشق طريقاً لا ترى أحد من محيطك يشقه من قبل..  
فتحتاج إلى شخص يُرشدك إلى هذا العالم....

أما بالنسبة له كان يري فيها طموحاً وسعادة بالغين.. يراها  
تتنقل في حياتها كفراشة لا أحد يشعر بها.. ناظرة لهدفها تعرف ماذا  
تريد.. لا يري فيها من تفاهة من في سنها.. تمشي في الطريق العكسي  
السريع لكل شيء في المجتمع.. وبالرغم من وجود عقبات كثيرة تجعلها  
تصطدم بها وتقع.. ولكن لا تتوقف ولا تتع..!!  
بل تُسرّع من مشيها حتي تركض بأقصى قوتها ليصطدموا هم  
بها!

من يأخذ مثل هذه الفتاة.. وينكد عليها كل يوم.. ويهملها في  
البيت ويمنعها من كل شيء حبها به من الأساس..  
ثم يقول الجملة الشهيرة:  
«أصلها نكديّة»

حضرتك إمسك صورة لها قبل الزواج.. وصورة بعد الزواج  
منك (دا لو إتصورت أصلاً)...ستلاحظ الفرق..  
فما الذي فعل بها هذا..  
أوبالأدق،  
من الذي فعل بها هذا...!؟

إذا أردت أن تتزوج مثل تلك الفراشة.. فهل لديك الجرئة  
الكافية والرجولة الكاملة أن تحافظ علي حبها للحياة ولنفسها؟!  
أم تريد أن تقطف وردة كي تموت عطشاً، ولا تلفت أنظار من  
غيرك بجمالها؟!  
إحذر...!

فإن أول من تخنقه بمنظرها المتعطّش الذابل.. هو أنت...  
اهتمّ بها وراعها ستفتح أوراقها.. ستري فيها جمالاً لم تره من  
قبل.. أو لتبتعد عنها.. فبمجرد ابتعاد الفئران والحشرات الضارة عن  
الزهور الجميلة تنضج وتزدهر أكثر...!  
قلتُ لك من البداية.. هل تمتلك الرجولة الكاملة..؟!  
اجتمعوا في كافية..

ينظر لها تلك النظرة الرجالية اللامعة، ليراها تمسك أوراقاً  
تدقق نظرها بهم...  
فاجئها بقوله بعد فترة صمت دام قبلها لساعات طويلة من  
الحسابات ليُعلمها أصول التجارة:  
- انتي مرتبطة؟

أكلّه الفضول الفترة الماضية.. تفاجأت من سؤاله المباشر، لم  
يبدُ عليها أي تغير، سمعت السؤال وظل نظرها علي الورق:  
- انت شايف إيه.. قاعدة طول اليوم في الشغل..  
وأكملت:

- أكيد انت ليك نظرة تعرف بيها من غير ما تسأل..  
ابتسم من ردها، علم أنه لن يخلص إذا حاور فتاة مثقفة  
وعنيدة..

مال للأمام ببدلته السوداء الفخمة كعادته، يحني رأسه في  
محاولة أن يراه عينها ويقول بابتسامة رجل أعمال، واثق من نفسه:  
- نظرتي إنك إنجرحتي جرح هو اللي خلّاني في السعادة والنجاح

اللي انتي فيه دلوقتي....

إتسعت عيناها، ليرجع يَعتدل علي مقعده وهو يكمل:

- بس نظرتي لسه مَجِبَتْش الجرح ده من ارتباط ولا خطوبة ولا  
جوازة ولا إيه بالظبط..

توترت كثيراً ولاحظتوترها، فقال بجديّة مغيراً الحديث لهديئ  
من روعها :

- أنا عندي ٣٠ سنة.. رجل أعمال صغير..

وأكمل بعد ضحكة قصيره :

- بس أنا بقي متجرحتش.. أنا بدوّر علي نصي الثاني....  
وإحنا صغيرين كنّا بنسمع دايماً كلمة نصك الثاني للمتجوزين.. بس  
عمرنا مشوفناهم بيكملوا بعض.. بالعكس دول بهدّوا في بعض....ولا  
شفناهم أنصاص أصلاً...

كنا بنشوف كل واحد منهم بيحاول يسيطر علي الثاني.. الراجل  
شايف إنه كامل والست دايماً ناقصه وإن أخرها في حياته هو تربية  
العيال والبيت والأكل وبس.. والست طول الوقت بتحاول تطلع برّه  
القالب ده...

وأخذ نفسه ليكمل :

- المشكلة بقي مش في كده خالص.. المشكلة في نفسيّة كل  
طرف وهو بيعمل كده.. عشان كده فقدت الأمل إني الآقي نصي الثاني  
وأنا أصلاً مش محتاج نص..

وأكمل بصوت أهدا :

- أنا محتاج إنسانه طبيعية.. إنسانه كاملة نشارك بعض  
حياتنا.. نعيش من غير حرب السيطرة اللي اتربينا عليه ده.. لو إتعاملنا  
علي إننا الإتنين زي بعض لينا أهداف في الحياه بنسعي وراها من غير  
بقي ما نحدد ونحط شروط علي بعض.. وأكديد كل واحد عارف وفاهم  
دوره إيه من غير نبرة الأمر اللي بتتقال دي.... فاهمة قصدي إيه..

اندهشت أنها سمعت هذا الكلام من رجل..

ارتاحت قليلاً، ورفعت عينها ببطء ليشيح بنظره بعيداً عنها بهدوء، هو لم يُجرح من قبل.. ولكن فقدان أمله في أن يجد إنسانه تفهم معناه كلامه من دون استغلال طبيته علي أنه ليس برجل... تألمه كثيراً....

للأسف تربينا أن الرجل هو الأمر الناهي ف البيت.. وأن من يشارك زوجته في حياته ليس برجل....!  
قالت لتجاوبه علي سؤاله :

- أنا مُطلقة

فتحت له قلبها بعد ما أدركت أنه يعاني مثلها بمرض من الأمراض الاجتماعية....

نظر لها سريعاً باستيعاب رافعا حاجباه في فضول أن يعرف أكثر..

لتكمل بصوت تحاول إخفاء ارتجافه :

- إتجوزت وإطلقت في أقل من سنة.. حصلي الي ممكن يحصل لأي واحدة في عشرينين قدام في سنة واحدة..  
وأكملت :

- ده ممكن يكون أكبر وجمع لأي واحدة عايشه هنا..

وأشارت بأصبعها للأسفل علي اللاشي تدل علي المجتمع..  
ثم توترت ثانية، لربط عقلها بين ما قاله منذ قليل وما حدث معها.. وقالت بتوتروهي تومئ برأسها مؤكدة لكلامه :

- إحساس الحرب الدائمة تعبتي.. مقدرتش أكمل.. كان نفسي في علاقة بسيطة..

وسرحت قليلا وقالت بشرود :

- وجعوا دماغنا في التلفزيون والأفلام والكتب عن والجواز

والطلاق.. بس عمرهم ما هيعرفوا يوصلوا لمشاعرنا واحنا بنتعامل مع بعض.. كله هري وكلام معاد علي الفاضي وخلص..  
فسألها فجاءة :

- يعني الحب بالنسبة لك أيه ومقارنته بالجواز.. مش قادر أفهم دماغك برضه؟!  
ردت بقليل من الغضب:

- يعني أيه السؤال ده.. وانت متخيل الإجابة أيه غير أنهم هما الإيتين حاجة واحدة ده طبعاً للناس الطبيعيين.. يعني أيه إيتين يعيشوا مع بعض في بيت واحد من غير حب وبشرط أن ده اختيارهم لبعض يعني مش مجبرين إنهم يختاروا الشخص ده بالذات!  
سألها مرة أخرى في سرعة، كأنه يريد إخراج ما بداخلها بدون تفكير منها لما تقوله :

- يعني انتي عايزه شكل العلاقة تبقي عاملة إزاي؟!  
بالفعل ردت كما يريد :

- علاقة الروح بالجسد.. علاقة من غير تكليف.. يعني واحد كده متكسفتش معاه وانا بحكيلوا عن خناقتي أنا وأمي الصبح مثلاً علي ثلاثة جنية فضة.. عن حد أحكيلو كل تفاصيلي الصغيرة من غير إخراج ويبقي هو مبسوط وهو سامعني.. عن حد في لحظة جنون اقولو يلا بينا نعمل حاجة مختلفة وجديدة حتي لو ثلاثة الصبح يقولي يلا بينا ونقوم نتجنن ونعمل حاجة ولو بسيطة ننزل نخرج مثلاً علي الكورنيش أو لو نطاق أوسع يلا بينا نساfer لو أجازة تاني يوم.. أو حتي نعمل أي حاجة جنونية في البيت.. أي حاجة مش متعودين عليها.. بس يبقي في بنا الروح دي..

وأكملت بنفس لهجتها السريعة، وهو يسمعها بإهتمام شديد :  
- مش حد يقولي بطلي هبل.. اه مانتي فاضية طول اليوم! ليكي

حق تقولي كده وطبعاً هيكر بقيت الشريط اللي انت عارفه..!  
بس علي فكرة نفسي أقولو إن ده جزء من حياتنا.. إن كان لازم  
نعمل الحاجات المختلفة دي عشان نستمر في العلاقة بشكل صحي  
! يعني ولا هو هبل ولا فضي.. وحتى لو هو هبل وجنون أنا من حقي  
كحبيبتك ومراتك إن اتجنن معاك.. واطلع الطفلة اللي جوايا معاك!  
وسكتت ثوان لالتقاط أنفاسها، وأكملت ولأول مرة دون أن  
تخجل منه، وهو أيضاً شعر بإرتياحها له هذه المرة وتحدث معه دون  
رسميات :

- لكن إزاي هيقولوا علينا نكدين وهما بيفرحونا !! لا لازم  
يحبسوننا وهملوا فينا عشان يعرفوا يخونوا ويطلعوا كمان أعدار  
خيانتهم وإهمالهم بأسباب هي أصلاً رد فعل علي معاملتهم ! وينسوا  
الفعل اللي لو كانوا عملوا لكانوا أسعد الناس، وهي مبتطلبش الجنان  
والخروج والحاجات اللي انت شايفها هيلة دي عشان هي عايزة كده  
وبس.. لأ.. هي شايفاك طول الأيام تعبان وقرقان في الشغل وهي كمان  
مشغولة في البيت، فهي إحتاجت تخفيف الضغوط عليك عشان  
راحتك وتشوفك مبسوط بتضحك بجد.. مش طول اليوم شايلين الهم  
إنتو الأثنين في الشغل والفلوس والبيت وفي الآخر تتفاجؤا بمشاكل  
كثير وفجوات ملهاش حل بينكوا.. أهي الحاجات الصغيرة دي بتلحق  
كل المشاكل من بدايتها...!

أخذت نفساً عميق وشعرت أنها تحدثت كثير' في حين هو قائلاً  
بصوت حنون علي مشاعرها:  
- بس علي حسب الشخصية.. يعني في واحدة غيرك بتخاف  
أصلاً من التجديد والتغير.. فدي إسطا بتريح..

ابتسمت من كلامه، وهو أكمل بابتسامة تزين ملامحه الوسيمة:

- بهزر والله.. كلامك صح جداً..
- وأكمل بعد لحظة.. وهي تستمتع بنشاطها :
- انتي جميلة أوي.. وقوية بالرغم من اللي حصلك..

إحمرت وجنتها وتنحنت وقالت بارتباك لتغير مجري الحديث :  
- أما بالنسبة بقي للمشاركة بنا.. فمش ذنبي إن الناس جهلة  
مش قادرة تفرق بين الراجل اللي بيشارك مراته في حياته واللي بتمشي  
كلمته عليه..

واجتمعت عينها بعينه فضحكا وهي تضع يدها علي فمها، ثم  
وقع نظره علي عنقها بعدما أزاحت شعرها ليراه رمز فسرله كل ما قلته  
في ثوان.. (خاتم زواج وجناحين) !

نعم.. هي فتاة تحب العلاقات البسيطة التي تشعرها بالتحليق  
فوق كل شيء.. لا تحب الروتين والعادات.. فتاة كسرت كل القيود  
ورقصت علي حطام ما تبقي حتي حلقت وأصبحت لا تستطيع رؤية ما  
حولها من جهل وتخلف المجتمع.. فتاة لا تريد علاقة تهوي بها وتثقلها..  
بل تطير..! فقط كما تخيلتها!!!

\* \* \*

( ١١ )

تقود العربية بسرعة جداً تعبر عن حالتها، وهي تبتسم.. لتسمع  
صوته:

- أقسم بالله انتي مجنونه يا بنتي إرسيلك علي حال.. كم مرّة  
النهاردة تعيطي وتضحكي في نفس الوقت.. أو تعيطي ومفيش خمس  
دقايق تضحكي..

ضحكت وهي ناظرة للطريق وقالت:

- معلش أصل افكرت في أول جوازي لما حصلت المشاكل..  
أهلي وكل الناس اللي حاليًا كانوا بيحاولوا يقنعوني إن أول سنة من  
الجواز بس هي اللي فيها مشاكل كثير.. بعد كده الدنيا بتتظبط...  
ثم ضحكت وقالت بسخرية:

- معرفش هما كانوا بيحسبوها إزاي.. بس الحقيقة إن بعد  
أول سنة بيكونوا إتعودوا علي المشاكل والنكد وبحكم العادة بيحسّوا  
إن الدنيا تمام وإتظبطت...  
ردّ عليها (ثائر):

- عندك حق جداً..

لتكمل:

- ومتعرفش برضو هما عارفين النظرية دي وبيحاولوا يقولوا  
كده يضحكوه علي نفسهم ولا إيه....

قال فجاءه (ثائر):

- مَكنش يوم ده اللي بعدتية عن الناس..

وأكمل مشيراً للهاتف:

- تليفونك مبطلش رن..

ضحكت وهي ترد علي الهاتف:

- أيوه ياست (مريم)..

وأكملت بطريقة تقريرية :

- أنا ف الطريق وجايه أهو.. هروح البيت أظبط نفسي وأنزل

أقابل (أمير)...

لم تسمع أي رد، فأكملت:

- (مريم)...

ردت (مريم) بنبرة جامدة:

- أنا عايزه أشتغل.. عايزه أنزل معاكي شغل لغاية ما أكون

فلوس وأقف علي رجلي..

قالت لها (سما) باستغراب:

- مالك يا (مريم)..

لم تسمع رد، فقالت (سما) :

- انتي مش قولتي مش عايزه أشتغل وحبستي نفسك لغاية

ما تجوزتي تاني..

ردت (مريم) بلهجة من فقد شيئاً:

- كنت غلط.. حسبته غلط.. ضيعت سنين من عمري في

عيشة مش حاجتها وسبتها وروحت كملتها في عيشة معجبتنيش أكثر..

عشان بس أعجب الناس.. ويارتهم بيسكتوا أو حاجة بتعجبهم...

سكتت (سما) قليلاً لترد عليها:

- بصي يا (مريم) أنا معاكي جداً في اللي بتقوله وانتي عارفه

كده.. بس في ستات مش بتعرف تطبق الكلام ده حتي ولو هي مقتنعة

بيه.. يعني ببساطة انتي بتقولي كده عشان لسه مطلقتيش.. لكن أول

ما تمسكي ورقة طلاقك تاني هترجعي في كلامك.. وهتحبسي نفسك

تاني.... وهكذا!!

ثم قالت (سما) لتطمئنها:

- لو عايزه تشتغلي مفاتيح المحل اعتبريها معاكي من دلوقتي  
ولو عايزة شغل في أي حتة تانية هجبلك.. بس أنا عايزاكي تفكري  
كويس.. لأن الطلاق لتاني مره أصعب بكتيبيير من أول مره...

سألته (مريم):

- إشمعني يعني.. ما هو كله طلاق!

جاوبتها (سما) بعد ما أخذت نفسها لتكمل:

- يا (مريم) يوم ما هتقعدي مع شخص ويسألك إطلقتي ليه  
هتردي وتقولي أسبابك صح... تمام هيقدر إنك ممكن تكوني إتظلمتي  
فعلاً وبعدها تحببوا بعض وترتبطوا وتجاوزوا والجوده...  
لكن إنك تتجوزي مرتين وتتطلقني وحتى لو انتي برضو مظلومة..  
مش هتلاقي حد علي مزاجك يرضي بيكي.. فهتضطري برضه إنك ترضي  
بواحد تالت.. وميكونش عاجبك برضه...

قالت (مريم) متسائلة:

- انتي غريبه أوي.. طول الوقت بتقوللنا إن مفيش حد بيهمك..  
دلوقتي بتعملي حساب للشخص اللي بعد كده؟!  
إبتسمت (سما) وردت:

- ما هي دي المشكلة إن دايمًا الناس شايفني قوية.. بس  
الحقيقة إني فعلاً محتاجة راجل في حياتي.. بس يكون راجل بجد..  
مش إتجوز عشان سني هيكبر ولا عشان أكون أم ولا عشان الناس..  
ثم قالت (سما):

- بصي عشان منتهش من بعض لأن الموضوع كبير أوي.... من  
الأخر كده مفيش راجل مش متجوز قبل كده هيرضي بواحدة مطلقة

إلا القليلين أوي....والي هيرضى بواحد مطلقه.. مش هيرضى بواحدة مطلقه مرتين.... فهمتي حاجه؟!!

وأغلقت معها الهاتف علي أنها تفكر في قرارها جيداً. مع أن (سما) تعرفها لن تتحمل هذا الوجع مره ثانيه...

قال (ثائر) وهو ينظر للطريق الذي شارف علي المدينة بعد ما سمع وفهم الحوار الذي دار بينها وبين صديقتها :

- انتي مشكلتك مبقتش المجتمع ولا الرجالة انتي تقدري علي الحاجات دي.. مشكلتك بقيت إنك بتحللي الأمور لدرجة مُخيفه يا(سما)..

أومات برأسها أنها تعلم. ثم قالت مؤكدة:

- يا(ثائر) الموضوع نفسه بقي مُخيف أصلاً.. يعني المفروض يكون الجواز الحاجة الجميلة اللي ف حياتنا.. لكن عشان الموضوع أنقلب لعادات وتقاليد وإن لازم واحد واتنين وتلاتة.. الموضوع بقي مُقيد.. إحساس أصلاً أي اتنين مقبلين علي الجواز إحساس مشروط.. إن لازم كذا عشان كذا.. لكن مفيش سنس إنك عايز تعمل الحاجة دي عشان بجد عايز تفرح الطرف الثاني أو بتعبه....

يا(ثائر) إحنا لو فهمنا بجد إن الجواز هو قرار شخصي بحت.. والله الدنيا بجد هتتظبط.. لو كل اتنين انفصلوا تماماً بعلاقتهم عن أي حاجة فيها نون الجماعة هتنجح العلاقة.. مش تلاقي بقي العيلة والشارع والمجتمع كله مركّز في تفاصيل قراراتك الشخصية.. عشان كده الدنيا بتبوظ خالص...

ثم قالت بابتسامة واسعة فَرحة:

- أهلاً بمدينة القرارات..

وأوصلته لبيته، ووصلت بيتها مُسرعة. بدّلت ملابسها ونزلت مرّة أخري الكافية علي اتفاق مسبق مع (أمير)...

\* \* \*

(١٢)

- المقابلة.....

نظرت (سما) ل (أمير) بأمال أن يشعر بما داخلها.. صامته  
مُستمتعة بجو الكافية الهادئ علي غير عاداته.. كأنّ كل ما حولهم  
يستعدّ لهذا اللقاء.. كما هما يستعدان..

كانت تنتظر تلك المقابلة منذ سنوات....  
راهنت علي أن تفعل كل ما تريد في حياتها....وفعلت!  
هل مضي الوقت سريعاً هكذا؟!  
جمعت ذاكرتها كل تفاصيل حياتها.. وكأنّ عقلها يُقارن بين ما  
قالت منذ سنوات.. وعن وضعها الآن..

تساءل هل يستحقّ التّحدي لكل هذا العناء؟!  
تحدّث أهلها عندما طلبت الطلاق....!  
تحدّث زوجها عندما طلبت الطلاق...!  
تحدّث المجتمع عندما طلبت الطلاق...!  
كل المنافذ تُؤدي إلي طلب طلاقها.....!!

ولم تكتفي بعد.. تحدّتهم كلّهم مرة أخرى....عندما رفضت أن  
تتزوج مرة ثانية فور طلاقها....

حَطيئُها في نظر المجتمع أنّها.. طلبت.... ورفضت..  
مع العلم أن من حق أي إنسان أن يطلب ما يُريده.. ويرفض ما  
لا يريده بكل بساطة بدون أي تحديات!!

ولوقتنا هذا لا ندرى ما الخطيئة في أن.. نطلب.... ونرفض...؟!  
ظل فترة يتأملها بفستانها الأسود القصير..وشعرها الذي

رفعته بطريقة تظهر طولها، وملامحها الذي لا تحتاج لأي مستحضر  
تجميلي، يكفيها ابتسامتها فقط، يراه فيها طفلة مهما بلغت من السن..  
قاطع شجنها بهمهمة تصاعدت منه رغماً عنه.. هو أيضاً يخشي  
ذاك الموقف منذ أن رآها أول مرة...

تجاهل ارتباكها وقال ما لم يأتي من أجله، يأمل أن يوصله لما  
يريد:

- ناوية عملي إيه لما تفتحي محلّك الثاني.. في خطة هتعملها  
تقدري تديري المحلّين مع بعض...  
ردّت عليه:

- عادي.... لو معرفتش آخرها هجيب مُحاسب.. بس أفتحه  
الأول...

وأكملت بابتسامة هدوء:

- بعد الحاجات اللي أنجزتها في حياتي لسه برضه مبحبش  
الحسابات...

ابتسم لما قالت، ثم أخذ نفساً من سيجارته بعمق، في حين هي  
ارتشفت من قهوتها باستمتاع استمتعاً للحديث....  
تعلم تماماً أنه ينتظر ردّها علي عرض الزواج.. كادّت أن ترد  
عليه، حين هو قاطع أفكارها..

ليسألها بصوته العميق، مرة ثانية:

- تتجوزيني.....؟

واضح كوضوح الشمس لا يخجل من مشاعره.. رجل علي  
فطرته...

احمرّت وجنتها وهو يتأملها بعين عاشق...

رنّ جرس هاتفها الذي لم يهدأ طوال الطريق، مُعلنًا رقم غريب  
يريد أن يتواصل معها.. لينقبض قلبها لسبب غير معروف.. رفعت

عينها ل(أمير) لترى عينيه الحانيتان ينظران لها بعشق وهو يشير  
لها تفها أي ترد. وهو جالس بثقة يكتسبها من فخامة بدلته السوداء  
ولحيته الخفيفة....

لتمسك الهاتف وترد بهدوء تتظاهر به:

- الو..

سمعت صوت تهيدة طويلة.. توترت ملامحها لتهتف متسائلة

ببطيء:

- الووووو...

سمعت صوت لن تتخيل أبدا أن تسمعه.. وبالأخص في هذا

الوقت..

- الو

اتسعت عيناها فور سماعها صوته. ثم نظرت ل(أمير).. نظرة

لم يفهمها لتراه يشعل سيجارته الثانية..

أدركت أن هذا اليوم سيجمع بين موقفين كانت تخشا كل واحد

فهم علي حدا... ظلت عالقة نظرها بعين (أمير). وكأن لا عالم حولهما

كل شيء اختفي تماماً...

في مواجهة بين الماضي..

والمستقبل....!!

ليكمل ذلك الصوت بنفس بروده المعتاد:

- وحشتييينني..

سرت قشعيرية بجسدها كله وتبارد حتى أطرافه.. فأكمل بنبرة

من يحمل صخرة على صدره:

- تلت سنين وأنا مش عارف أنساكي تعبت من كتر ما بحارب

مع نفسي.. وعدتك إن عمري ما هسيبك وفعلاً وفيت.. انتي اللي طلبتي

الطلاق أكثر من مرة...

وأخذ نفسه وهي ظلت صامتة.. شعرت فجاءه أنها عادت

لغرفتها المظلمة وحدها، و(أمير) يشير لها بيديه في علامة علي من المتصل وهي لا تراه.. بل لا تشعر بوجوده من الأساس...

ويكمل هو:

- أنا ب....

قاطعته ضحكتها الساخرة.. وتلألأت عيناها بالدموع.. ثم قالت بخفوت واضح للاستهزاء بيه وهي مبتسمة:

- براااافوو.

في موقف لا تُحسد عليه.. تواجهه ماضيا أمام مُستقبلها في آن واحد..

كم تعشق نفسها عندما تضع في موقف كانت تظنّ نفسها لا تستطيع الوقوف أمامه.. لكنها تتخطاه بسهولة مريرة..

دائماً كان يقول لها أن الطلاق سوف يُذلّك.. لم يتوقع أن الطلاق هو سبب انطلاقها..

أفاقت تدور بعينها المكان كله وعقلها يعرض عليها كل ما فعله بها ذاك الشخص.. وابتسمت من سخرية الموقف، كم كانت تريد هذه الاتصالات والاهتمام في يوماً ما وهو لا يستجيب، كان منشغل دائماً بأصدقائه لأنه يضمن وجودي في بيته!

فاعتدلت في جلستها وعقلها منتعش من ذكريات تتوالي ببرودة بعد ما كانت في يوماً سبب إرهابها..

اعلموا جيداً أن بعد اعتلال في المقام.. فلا أنظر لمن أراد تحطيمي في الماضي.. لا غفران حينئذ، وبمقدوركم حسابها كما تريدون.. تمام.. نعم.. أنا متكبرة!

فأنا لم أبتعد عن أحد إلا بعد إعطائه كل الفرص المتاحة.. فليس هناك ما تبقي من فرص..

ما حال أصدقائك إذن..؟! فلماذا تهتم بي الآن؟!، لا أهتم بما أدركت من خطأ.. فأنا عشت بسببك أسوء أيام حياتي وأنت ما زلت

تتعمد القسوة و الإهمال بي ولم تفكر للحظة أنني بحاجة لك.. فتريد  
مني الآن أن اهدم ما بنيته علي حطامي من إنجازات..!  
للأسف تأخرت كثيراً.. وأليس من العدل أن أذيقك من الوجد  
كما أذقتني، ولكني لا أتعمد ذلك.. أحب أن أترك الأيام تأخذ لي حقي  
ممن ظلمني.. فأنا لا قليلة الحيلة وإن كنت يوماً رأيتني لا حول لي ولا  
قوة وأنا بجانبك فكان هذا باختياري 'كنت أحب انغماس قوتي بين  
ذراعيك..!

لذا فاتركني في طريقي كما تركتني من قبل باسم الذل لوحشة  
الظروف، الأقاويل، الألسنة والعيون..!!  
فمن تقدر علي تحمل كل هذا فلا تنظر لأمثالك ممن يختبئون  
بمواعده أصدقائهم للهروب من تحمل مسئولية بيتهم.. فخبروه..!  
أستطيع أن أقول لك أن من زرع فيك فكر أن الزواج وفره (الأكل  
والشرب) فقط فهو عقيم الفكر، عديم الإحساس، لا يصلح لمعاشره  
جنس النساء أو علي الأقل الجميلات ممن..!  
أراك تزوجت من امرأة لا تهتم بالتفاهات كما سميتها.. فلماذا  
لا تفتنع بها وكنعمة الزوجة.....!!  
فهت الآن ما كنت أحاول أفعله بعلاقتنا كي لا تنتهي بمثل هذا  
الملل..!

دار كل هذا الكلام في عقلها، لطالما كانت تريد أن تقولوا له، ثم  
قالت له بتحدّ مقلّدة نبرته الباردة :  
- وبعدين.....

وددت أن أقول لك شكراً.. فلقيتني درس لم ولن أتعلمه في  
مكان آخر.. تعلمت أن أري من جميع الزوايا بعين واحدة، تعلمت أن  
أعبر المصاعب وكأنها لم تكن.. وأن أنتظر الضربة التالية من من تأتي  
وأخذها بصدر رحب، علمتني أن أسير الطريق المظلم وأحياناً العكسي



مشاعرنا التي لا تُقال ولكن تبني عليها قراراتنا المصيرية..

- إليك أنتي.. لا تدعي المجتمع يقتلك.. لا توقي مكانك، أمامك  
حياة وأهداف، غيري فقط تفكيرك، أمضي في طريقك ولا تلتفتي أبداً  
لما يقولون ولا تردّي عليهم أريهم فقط أفعالك وتطوّرك ونجاحك  
وإياك أن تريهم ضعفك..

- وإليك أنت.. حرّر عقلك من عبودية الفكر.. ارتقي بنفسك  
لعالمك أنت، ولا تدور في فلك أجداد أجدادك....

- ولن يريدون النجاح.. أعانكم الله علي هذا الطريق.. من  
أصعب الطرق هو الطريق إلي النفس..

- وللفاشلين.. لا يوجد كلام لديكم.. لدينا أفعال.. موتوا  
بغیظكم.. وانظروا إلينا وقولوا إنه حظ وقدر ونصيب..!!  
لا لأنه الفشل....

أسماء كمال

